

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي بالاغواط
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية
قسم التاريخ



المجتمع الجزائري في العهد العثماني
من خلال المصادر المحلية
1518م - 1830م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ حديث ومعاصر

إشراف الأستاذ:

* كمال مايدي

من إعداد:

✓ شويرب مباركة

✓ زعنوني زينب

السنة الجامعية: 2016 – 2017

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

"وقل اعملوا سيري الله عملكم ورسوله والمؤمنين"

نشكر المولى العزيز القدير الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل راجيا
منه التوفيق والنجاح وأن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم
كما يسعدنا أن نتقدم بخالص الشكر وكامل التقدير للأستاذ
ثمان مايري الذي تفضل للإشراف على هذه المذكرة فله منا
جزيل الشكر والتقدير .

والشكر موصول إلى أعضاء اللجنة المناقشة كل باسمه
كما نتقدم بالشكر إلى جميع الأساتذة بقسم التاريخ .

مباركة زينب

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى أسمى و أرق إنسانة في الوجود تلك التي غمرتني
بعطفها وحنانها و ملأتني برفئها حينما عملتني ، إلى من كانت سندي ومعينتي إلى بحر العطاء و
التي استمر منها فيض الحنان و مرفأ الأمان التي أبكت و وعت.
إلى من سهرت الليالي فأنجبت وريت، إلى أعز كلمة نطق بها لساني
أُمي الغالية: " سعاد " .

إلى الذي يعجز اللسان عن شكره و يقصر البيان عن الوفاء بحقه، إلى الذي زرع في القيم و
المباوئ ، و تحرى الصعوبات ليراني هكذا ، فانتظر و صبر وكان صبره صبر أيوب،
وعلمني أن الحياة كفاح و نضال، إلى رمز العطاء و نبع الصفاء إلى
أبي الحنون : " جعير " .

إلى وفء منبع النصيحة و من أنسوني الهموم وأنا جريحة إلى حنان أخواني الفؤاد الصاوق
والكلمات الصريحة رقية، آسيا ، انفال.
إلى أخواني حاميا شرني وكرامتي وسندي في ونيائي راسما بسمتي أخي عابر العظيم، أسامة
مصدر فخري ومعزتي.

إلى جرتي أم العائزة وقرسة

وجري معمر ، الطاهر رحمه الله

إلى كل من لقب عائلتي زعنوني، كروم

إلى تولم روحي و رفيقة وربي إلى رفقة الدرب وبسمة الحياة إلى أعز الزميلات أهدي وأهلل

بصوتي نكن أروع الصديقات مسكن الياقوت في بحر الحريات مباركة

إلى صديقاتي خيرة ، امينة، سميرة، بيري، زهرة، إيمان، رقية

□ إلى الأستاذ الذي أمرنا بـ"العون : سايري كمال".

إلى كل من علمني حرفا أو ورسا أو قدم لي نصيحة إلى كل أساتذتي من مرحلة التعليم

□الابتدائي إلى مرحلة التعليم الجامعي

□إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد.

إلى كل من وسعهم قلبي ونسيهم قلبي

نخيب

الإهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاقتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا
تطيب الآخرة إلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برويتك الله جل جلاله إلى من بلغ الرسالة وأوى الأمانة
ونصع الأمة إلى نبي الرحمة ونور العلمين سيرنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

إلى أغلى نعم الله في هذه الحياة إلى من قال فيهما الرحمن بعز بسم الله الرحمن الرحيم:

"وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً" صرق الله العظيم

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار وعلمني العطاء وون انتظار إلى من أعمل اسمه بكل افتخار أرجو من الله
أن يمر في عمر والدي العزيز.

إلى سر الوجود وملأني في الحياة معنى الحب والحنان وكان وعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحاتي والرتي
الغالية

إلى جرتي الحبيبة أطل الله في عمرها محبوبية حيمو.

إلى من بهم أكبر وعليهم اعتمد الذين ينبرونا ظلمة الحياة إلى من عرفت معهم معنى الحياة

سهام، هنية، حياة، طونة.

إلى أخوالي العزيزين رفيقي وربي في الحياة إبراهيم و أحمد

إلى بهجة الحياة : مريم وخريجة

إلى من جمعني بها القدير فكانت نعم الصديقة "زينب"

وإلى ريفقتي وصديقتي وربي: زهرة، خيرة، أمينة، سمية، مسعووة، مروة، سمية، سهام، إسمان، بيري، رقية

وفي الأخير أهدي ثمرة جهدي إلى كل من يحمل لقب حيمو وشويز

مباركة

قائمة المختصرات

باللغة العربية:

المختصر	المعنى
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية
د ت	بدون تاريخ
ب د ن	بدون دار نشر
تق	تقديم
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعليق
ب ط	بدون طبعة

مقدمة

إن دراسة تاريخ الجزائر الحديث ومحاولة تكوين فكرة صحيحة عنه تتطلب منا رسم صورة واضحة عن مختلف المجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ويعتبر العهد العثماني من أخصب العهود في تاريخ الجزائر لذلك تم رسم معالم الدولة الجزائرية الحديثة في كل الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ولقد حظيت هذه الميادين بدراسات تاريخية معمقة بيد أن الميدان الاجتماعي والثقافي لازالت الدراسات فيه محدودة بالرغم من التأثير الذي أحدثه العثمانيون . وإدراكا منا بأهمية هذه الجوانب في فهم تاريخ الجزائر في هاته الفترة ارتأينا تناول جانبها مهما في تاريخ الجزائر الحديث، وهو دراسة المجتمع الجزائري في بحث تحت عنوان المجتمع الجزائري من خلال المصادر المحلية .

دواعي اختيار الموضوع :

ما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع هو ضرورة معرفة تاريخ الجزائر الحديث بصفة عامة خلال الحقبة العثمانية ما حفزنا أيضا هو محاولة الاطلاع على أحوال المجتمع الجزائري في مختلف ميادينه لفهم الملابسات التاريخية التي كانت تحدث خلال تلك الفترة والتي كانت على قدر كبير من التشابه والتداخل والتأثير والتأثر .

ورغم قلة الدراسات التي تطرقت إلى الموضوع خلال هذا العهد حاولنا رغم ذلك معرفة الواقع الاجتماعي وهذا ما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع محاولين إعطاء صورة ولو صغيرة على مختلف التفاعلات التي تميز بها هذا الفضاء الجيو استراتيجي في الفترة العثمانية .

- إشكالية الدراسة:

أما الإشكالية الرئيسية في التعرف على واقع المجتمع الجزائري وهي :

- كيف كان واقع المجتمع الجزائري في ظل الحكم العثماني؟

- كيف تفاعل المجتمع الجزائري مع العثمانيين؟

وتتدرج هذه الإشكالية ضمن مجموعة من التساؤلات هي :

مقدمة

1/- ما هي العوامل التي ساعدت العثمانيين على البقاء في الجزائر أزيد من ثلاثة قرون رغم قلة عددهم ؟

2/- كيف كانت التركيبة السكانية في المجتمع الجزائري ؟

3/- بماذا تميزت الحياة الاقتصادية والثقافية في تلك الفترة ؟

4/- ما هي أبرز العادات والتقاليد ؟

5/- كيف كان سلوك المجتمع في العهد العثماني؟

-الإطار الزمني للدراسة:

تمثل الإطار الزمني لهذه الدراسة منذ دخول العثمانيين إلى الجزائر إلى غاية خروجهم اثر الاحتلال الفرنسي أي من 1518 الى غاية 1830م .

وذلك حتى نتمكن من تتبع كل الأحداث التي عرفها المجتمع الجزائري في تلك الفترة.

-المنهج المتبع:

ومن المؤكد أن البحث في موضوع المجتمع الجزائري يتطلب منا الاعتماد بشكل كبير على المنهج التاريخي كما سمحت الدراسة بانتهاج المنهج الوصفي وفي بعض الأحيان لجأنا إلى المنهج التحليلي لفهم الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وذلك للخروج برؤية موضوعية تخدم هذه الدراسة.

- خطة البحث:

- قسمنا البحث الى مقدمة تناولنا فيها اشكالية الموضوع المعالج وأسباب اختياره ثم شرحنا خطة عملنا للإجابة عن تلك التساؤلات ثم تطرقنا الى الرصيد الوثائقي الذي سمح لنا بإنجاز هذا الموضوع من مصادر ومراجع وقد قسمنا عملنا هذا الى فصل تمهيدي وإلى ثلاثة فصول عنوانا الاول ب واقع المجتمع الجزائري وفيه ثلاثة مباحث:

-بنية المجتمع الجزائري وتركيبته السكانية.

-الواقع الديمغرافي .

-عدد السكان الجزائر والعوامل المؤثرة في نموه بينما تناولنا في الفصل الثاني فعاليات المجتمع الجزائري في المجال الاقتصادي ويتضمن ثلاثة مباحث .

مقدمة

-فعاليات المجتمع الجزائري في المجال الفلاحي والتجاري .

-فعاليات المجتمع الجزائري في المجال الحرفي.

-وفي اخر مبحث خصصناه للجانب الثقافي للمجتمع الجزائري .

أما الفصل الثالث فتناولنا فيه مبحثين الأول تحدثنا فيه عن الاحتفالات الشعبية وتطرقنا فيه الى الاحتفال برأس السنة البربرية يناير والاحتفالات العائلية (الزواج، مولد الأطفال ،الختان) وأيضا الامسيات والسهرات الشعبية أما الثاني فتناولنا فيه الاحتفالات الدينية وفيه الاحتفال بالمولد النبوي الشريف والإحتفال بحلول شهر رمضان وأيضا الإحتفال بعيدي الفطر والضحى وفي الأخير الإحتفال بخروج ركب الحج وعودته.

- عرض لأهم مصادر ومراجع الدراسة:

تعددت المصادر وتنوعت المراجع التي تم الاعتماد عليها في بحثنا هذا التي إستفدنا منها أهم الإخبار التاريخية وكذلك التعرف على أهم الأحداث التاريخية:

- المرأة لحمدان خوجة ،وهو يعتبر من أهم المصادر التي لا نستطيع الإستغناء عنها أثناء دراستنا للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني إضافة إلى التحفة المرضية في الدولة البكداشية لإبن ميمون ، إضافة إلى ابن حمدوش عبد الرزاق في كتابه ابن حمدوش الجزائري المسامة "لسان المقال في عن النسب والحال" وأيضا مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار، نقيب أشرف الجزائر، يعتبر من أهم المصادر المحلية والعربية التي تكلمت عن الأوبئة وعن الضرائب المفروضة على السكان.

أما عن المراجع التي اعتمدنا عليها نذكر منها : نصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، كتابة الجزائر في التاريخ من المعطيات التاريخية عن الهياكل الإدارية وأيضا الوضع الإقتصادي والسياسي ،كما تطرقنا إلى كتابه المعنون بورقات جزائرية الذي شمل مختلف الأمراض.

الدراسات السابقة :

- كتبنا دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، الأسعار والمداخيل للمنور مروش، إضافة إلى محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الإحتلال) لأبو القاسم

مقدمة

سعد الله ،زد على ذلك كتاب الجزائر في عهد رياس البحر لسبنسر وليام،كما اعتمدنا على أهم الدراسات التي تناولت الموضوع مثل أرزقي شويتام ،وعائشة غطاس.

- الصعوبات:

- مهما اجتهد الباحث فانه من الصعب الاطلاع على كل ما كتب حول الفترة المعالجة للدراسة فالبحث الأكاديمي كما هو معروف هو عمل متواصل لذا فقد تعرضنا الى عدة صعوبات في بحثنا هذا وهي .
- هيكلية الموضوع المقترح للدراسة .
- ضيق الوقت.
- صعوبة تفكيك المادة من المصادر.

1- ظروف بروز العثمانيين :

لقد تأزمت أوضاع المغرب العربي وكانت الجزائر مسرحا لها أكثر من تونس والمغرب الأقصى بحكم موقعها الجغرافي الاستراتيجي كما أن الروابط القبلية التي كانت لا تزال تطبع المجتمع المغربي قد أدت الى انفصال العديد من القبائل وظهور امارات ترفض الخضوع لأية سلطة مركزية حيث عرف المغرب في هذه الفترة فوضى اجتماعية وتفككا سياسيا وصراعات قبلية وعلى العكس فقد عرفت أوربا وعلى غرارها اسبانيا تطور صناعيا ونهضة في مختلف المجالات وفي ظل هذه الظروف تمكن الاسبان من الاستيلاء على عدة مدن ساحلية منها المرسى الكبير 1505م، وهران 1509م، بجاية 1510 م، والتي احتلها الاسبان دون مقاومة من أهلها¹، أما بالنسبة لمدينة الجزائر والتي كانت امارة مستقلة فقد سارع أهاليها لعقد معاهدة مع الاسبان حيث توجه وفد يرأسه حاكمها سليم التومي²، الى بجاية 1510م، واجتمعوا بالقائد الاسباني (بيدرو نافاروا) واتفق الطرفان أن يعقد السلم بينهما وأن يتعهد الطرف الجزائري اطلاق سراح الأسرى المسيحيين وأن يضمن عدم تعرض الجزائريين للسفن الإسبانية وأن يسافر وفد منهم لعقد اتفاقية نهائية مع حكومة الملك وأن يدفع الجزائريون ضريبة سنوية إلى حاكم بجاية الإسباني و ذلك اعترافا بالتبعية مقابل عدم اعتداء الاسبان على مدينة الجزائر³.

ان استشهاد عروج* وجنوده عام 1518م في معركة دارت بينه وبين الاسبان الامر الذي جعل خير الدين يعلن تبعيته للسلطان العثماني حيث أدرك أنه لا يستطيع

¹ -العبد مسعود ، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني ، مجلة سيرتا ، ع 03 ، 1980 ، ص 60.

² -ويليام سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر ، ترجمة عبدالقادر زيادية ، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر ، ص08

³ -محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، ط2، مكتبة الشرق، 1979، ص16.

* لقب عروج هو الصعود حيث كان الأتراك يسمون هذا الإسم تبركا بالمعراج وعروج الرسول صلى الله عليه وسلم غلى السماء ، حيث كان له الفضل في تأسيس أول دولة في مدينة الجزائر حيث يصف سامح التر عروج بقوله " كان شجاعا في جهاده مدافعا عن دينه وغير مخالف للقواعد المتبعة آنذاك قوي البنية لم يكن سفاكا للدماء بغير حق " انظر كليل صالح سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الاوسط رسالة ماجستير في التاريخ (غير منشورة) جامعة باتنة 2006 ، ص 95 .

لوحده الاحتفاظ بالجزائر¹ ولذلك ربط مصيره بمصير الامبراطورية العثمانية،² التي برزت كأكبر دولة اسلامية تتوجه نحو حماية المسلمين في كل مكان.

II- الأوضاع السياسية :

ولقد قسمت الدراسات المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني الى فئات وقبائل معتمدة في ذلك على أسس عرقية ودينية ومادية ومهنية وغيرها، حيث نقلوا العثمانيون معالم حضارتهم الى الجزائر والتي تجسدت في النظم الادارية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، واندمجوا بالعناصر الاندلسية والكرالغية الحضرية والفئات الجزائرية بمختلف مستوياتهم الثقافية والمالية رغم الاختلاف اللغوي والمذهبي الديني والعادات والتقاليد.

ان فاعلية النظام الاجتماعي للجزائر العثمانية استند على تطبيق القوانين الإسلامية التي جسدتها ونظمتها هيئات قضائية حنفية ومالكية، وتنظيمات من الأوجاق الادارية التي كانت موجهة لتحقيق المنفعة العامة، وذلك استنادا على المؤسسات الوقفية التي لعبت دورا في سد حاجيات الاجتماعية للفقراء، وقد كان الزواج سلوكا اجتماعيا ميسرا بين فئات المجتمع، لاستمرار الترابط العائلي والاقتصادي وحتى الاداري وفق العادات والتقاليد الجزائرية العثمانية، ولذلك نجد بأن الوافدين من الاناضول العثمانية الى مدن الايالة الجزائرية كانوا يجلبون نساءهم أو يقترون بالعائلات العثمانية التي سبقتهم أو يصاهرون العائلات الاندلسية وأعيان المدن، ومن بعض الطبقات الاجتماعية بهدف حماية الأغراض والمجتمع من الانحلال الخلقي أو خوفا من صرامة العقاب أو قوانين مصادرة أموالهم³.

¹ - يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ، ط 01 ، ج 02 ، ديوان المطبوعات الجزائر ، 1999 ، ص 257 .

² - عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2005 ، ص 56.

³ - عزيز سامح آتير ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة محمود علي عامر ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1989 ، ص ص 72-73.

وهذا ما أكدته فاطمة الزهراء قشي " بأن المبادلات الاسرية تميزت بالتنوع والتفتح وبقى تحديد درجة التقارب والتكافؤ بين الأصهار ". بالإضافة الى المظاهر الاجتماعية طبع المجتمع الجزائري باللغة العثمانية العثمانية، التي كانت في أجهزته الادارية والعسكرية وفي المدن والارياف والمحاكم العدلية ومؤسسات الاوقاف.

- مراحل الحكم في العهد العثماني :

وبالنسبة للتعرف على نوعية نظام الحكم المنبع يجب تحديد التقسيمات الادارية والاجهزة المختلفة، التي وضعها الحكام لتسير شؤون المجتمع على المستويين المركزي والاقليم، والتي كانت سائدة بين الادارة والرعية من جهة وبين مختلف الفئات الاجتماعية من جهة اخرى. حيث كان حكام الجزائر في بداية العهد العثماني من رجال البحرية الذين عرفوا بطائفة الرياس، وكان خير الدين أول حاكم حمل لقب الباي¹ منذ عام 926هـ/1519م وكان الحكام في ذلك العهد يتولون رئاسة التنظيم الاداري بمساعدة بعض الرياس والضباط وكانوا يستشيرون أعيان وعلماء البلاد في بعض المسائل الداخلية، كما لمعت عدة أسماء في عهد الباي² أمثال خير الدين²، وحسن اغا، وحسن بن خير الدين، حيث كانوا هؤلاء من البارزين الذين أعادوا تنظيم البلاد واخضاعها لسلطتهم ليصل في عهد صالح ريس الى الواحات الجنوبية تقورت وورقلة، واستطاعوا بفضل قوتهم السيطرة على القوتين العسكرية البرية والبحرية، ويعود الفضل لهؤلاء الحكام في تأسيس أول نواة للبحرية الجزائرية التي سيطرت على البحر المتوسط ما يقرب ثلاثة³ قرون، واسترجاع عدة مدن جزائرية من الاسبان، والتصدي لمختلف الغارات التي كانت

1- تعني أمير الأمراء وهي من المناصب الرفيعة للدولة العثمانية وقد منح هذا اللقب لخير الدين بربروس دليل على امتياز، وقد اعتبرت الجزائر قاعدة للحكم العثماني في شمال إفريقيا وفي غرب البحر المتوسط أنظر كليل صالح، المرجع السابق، ص 123.

2- وهو السياسي الماهر والمنظم العسكري الذي أسس الدولة الجزائرية وأعطاه شكلها المميز، توفي بعد أن أصيب بحمى دامة 14 يوما على حد قول " هايدو " وبوفاته غاب نجم طالما أضاعت له سماء المسلمين بالبر والبحر، وإنطوت بغيابه صفحة ناصعة من صفحات الجهاد في سبيل الله، أنظر كليل صالح، المرجع السابق، ص 125.

3 عمار بوحوش ، المرجع السابق ، ص ص 57-61 .

تشنها الدول الأوروبية على السواحل الجزائرية، وحتى لا تزود البايكربايات فكرة الانفصال عن الدولة العثمانية التي أصابها الضعف¹ بعد الهزيمة التي مني بها أسطولها في معركة ليبانت Lépante عام 979هـ/1571م، قرر السلطان إلغاء نظام البايكربايات ليستبدله بنظام الباشوات،² والواقع أن حكم الباشوات ما هو، الا إستمرار لنظام البايكربايات وكان الاختلاف بين النظامين يتمثل في طريقة تعيين الحكام كان دور السلطان مقصورا على المصادقة على البايكربايات الذين كانوا يرشحهم الرياس والانكشارية، وكانت مدة حكمهم غير محددة أما الباشوات فكانوا يعينون من السلطان مباشرة من اسطنبول لمدة ثلاثة سنوات فقط،³ وقد عرفت البلاد في عهد الباشوات اضطرابات داخلية منها احتدام الصراع بين القوتين العسكرية البرية والبحرية وتمرد قبائل بايلك قسنطينة وثورة الكراغلة، ومع مرور الوقت لم يعد الباشوات يسيطرون على الوضع فقد نافسهم في السلطة السياسية الادارية ديوان الانكشارية، وقد حاول حضر باشا في عام 1005هـ/1596م الاستعانة بالكراغلة والاهالي للقضاء على الفرقة الانكشارية المهيمنة، ولكن محاولته باءت بالفشل ومنذ ذلك الحين اضطر الباشوات الى الأخذ بآراء الديوان الذي سيطر عليه رؤساء الجند فأصبحت قراراتهم تصدر بهذه العبارات (نحن باشا وديوان مليشيا الجزائر التي لا تقهر) . واستغل الانكشاريون ضعف الباشوات Lieعينوا حاكما على البلاد باسم الآغا* وهكذا بدأ عهد جديد عرف بحكم الأغوات⁴ (1070-1082هـ/1659-1671م) حيث كان الأغوات يصلون الى الاغوية بالأقدمية، أما الذين استلموا الحكم من الباشوات فيعينهم الديوان، وقد تناوب على منصب الآغا أربعة أغوات وكلهم اغتيلوا لعجزهم عن دفع رواتب

¹ - ارزقي شويتام ، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني ، ط 2 ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2009 ، ص 60 .

² - نفسه ، ص ص 34-35 .

³ - نصر الدين سعدوني ، منطلقات وآثار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1996 ، ص 165 .

⁴ - عمار عمورة، الموجز في تاريخ الجزائر ، ط 1 ، دار ربحانة ، الجزائر ، 2002 ، ص 99 .

الجند،¹ ولأسباب أخرى سياسية، وشهدت الجزائر في عهدهم اضطرابات داخلية وتعرضت البلاد الى عدة غارات أوربية منها غارة الاسطول الفرنسي بقيادة بوفور beaufort على جيجل عام 1075هـ/1664م وقد استاءت طائفة الرياس من الوضع الذي آلت اليه البلاد وحملت علي آغا مسؤولية الاضرار التي ألحقت بالموانئ والسفن الجزائرية واتهمته بالتقصير في أمور البحرية، ونظرا لقصر مدة الحكم فقد كان كل آغا يهتم بأموره الشخصية، تاركا أمور البلاد لشأنها وبعد فترة الاضطرابات التي مر بها نظام الحكم العثماني بالجزائر خلال المراحل الثلاث السابقة، تأتي مرحلة جديدة يمكن لقول عنها أنها مرحلة انفصال عن الدولة العثمانية وبقاء التبعية الاسمية فقط، تسلم الدايات السلطة في البلاد منذ عام 1671م عند ما حلت سلطة زعماء الطائفة محل الأغوات، وقد كان الدايات ينتخبون في بداية عهدهم من طرف طائفة الرياس وذلك حتى سنة 1689م،² وقد كان الدايات* الاربع الذين حكموا بين 1671-1689 من الرياس وفي عهدهم تعرضت السواحل الجزائرية الى عدة حملات أوربية، ألحقت اضرار بالغة بالأسطول الجزائري مما أضعف الرياس وهذا الوضع كان في صالح الإنكشارية الذين استرجعوا نفوذهم وأصبح الدايات منذ عام 1689م ينتخبون لمدى الحياة،³ وكان منصب الداى يختار من الأوجاق، وقد تمكن الداى مع مرور الوقت أن يجمع بين لقب الداى والباشا.

¹ - عمار هلال ، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة ، 1830 ، 1962 ، ط 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1995 ، ص18 .

* يجب التمييز بين آغا الغرب وآغا الانكشارية ، فالأول بمثابة نائب الداى كان يتولى شؤون الأقاليم التابعة لدار السلطان أما الثاني فهو القائد العام للقوات البرية فكان يعين على رأس الجند لمدة قمرين ، لهذا يعرف باغا القمرين وعند عزله يعرف بمعزول آغا، أنظر أرزقي شويتام ، المرجع السابق، ص 27.

* مفردا داي وهي كلمة تركية تعني الخال لم تستخدم للدلالة على عمل إلا في الجزائر وتونس ، ثم استخدام الدلالة على وظيفة عسكرية في الجيش الانكشاري فري الجزائر وتونس واستعملت بمعنى الحاكم أو الرئيس انظر العنترى، المصدر السابق، ص 62.

² - أرزقي شويتام ، المرجع السابق ، ص38 .

³ - محمد خير فارس ، المرجع السابق ، ص 71 .

وقد مرت فترة الدايات بمرحلتين هامتين:

المرحلة الاولى :

مثلت مرحلة القوة والاستقرار 1671-1805م حيث تمكن من خلالها الحكام تحقيق عدة انجازات كتحرير وهران الأول من الإسبان في 1708م،¹ والتحرير الثاني في عام 1792م وكذا التصدي للحملة الاوربية².

المرحلة الثانية:

1805-1830م فكانت بمثابة نهاية الحكم العثماني بالجزائر حيث عرفت الجزائر خلال هذه الفترة انتفاضات داخلية وتدهور الاحوال السياسية والعسكرية، مما أثر على الاوضاع العامة بالبلاد وبذلك مثلت هذه الفترة الاخيرة من حكم الدايات تدهور في الاوضاع السياسية، فقد ازدادت الحملات الاوربية على الجزائر،³ وبدأت تظهر النوايا الاستعمارية وهكذا ورغم التغيرات التي عرفها النظام العثماني بالجزائر طوال القرون الثلاثة فانه بقي محصورا في أيدي الاتراك الذين احتكروا أغلب الوظائف الادارية وكانت كل واحدة تعرف بالبايلك، ويفهم من المصادر أن التقسيم الاداري لبلاد الجزائر على الوجه المذكور كان على مراحل والتقسيم الاداري الكامل للجزائر فهو بايلك التيطري،⁴ وبايلك الشرق،⁵ وبايلك الغرب.⁶

¹ - محمد بن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص 203.

² - محمد بن يوسف الزباني ، دليلي الحيران ، وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تقديم وتعليق المهدي بوعبدلي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979 ، ص 164 .

³ - ويليام سبنسر، المرجع السابق ، ص 43 .

⁴ - احمد شريف الزهار ، مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار ، نقيب اشراف الجزائر ، تقديم وتعليق احمد توفيق المدني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974 ، ص ص 47 48 .

⁵ - fde . Haedo histoire des Rois d'alger dégermant et G-A Alger -2004, p 45 .

⁶ مجهول ، غزوات عروج وخير الدين ، تصحيح وتعليق نورالدين عبد القادر ، مطبعة دروسي قدور ، الجزائر 1934 ، ص 79.

III - الأوضاع الاقتصادية:

أما اقتصاد المجتمع الجزائري في العهد العثماني يتراوح بين الانتعاش في بداية القرن 16 حتى القرن 17م بسبب قدوم المهاجرين الاندلسيين الذين أدوا أدوارا مهمة في زيادة انتاج الاراضي الزراعية والصناعية والتجارة، وعند دراسة أوجه النشاط الاقتصادي والحياة الاجتماعية للجزائر العثمانية يلاحظ الطابع الزراعي والرعوي الذي تمركز أساسا في الأرياف وأطراف المدن، هذا في حين أن الحواضر تكاد تتفرد بالنشاط الحرفي الذي كان يهدف الى تلبية الضرورات المنزلية، ويقوم على الاكتفاء الذاتي في الأرياف والى جانب ذلك لعبت التجارة الخارجية والداخلية دورا مهما داخل البنية الاقتصادية للمجتمع الجزائري عموما، ويعود هذا الانتعاش الذي عرفته الجزائر في العهد العثماني سببها الاستقرار في دواليب الحكم المركزي منذ استحداث الديوان الخاص وخلف تنظيمات جد متطورة، في هيئات البايك الثلاث، بالإضافة الى تطور العمران الحضاري وتجانس التقاليد والعادات الجزائرية والعثمانية والاندلسية أعطت ثمارها في الامن الاجتماعي والتنافس الحرفي والتجاري واستقرار الاسعار، وزيادة الذخائر النقدية والتموين والحفاظ على القدرة الشرائية في الظروف العسيرة ويعد هذا الاستقرار في المجال الاقتصادي في بداية العهد العثماني¹.

وفي النصف الثاني من القرن 17 وحتى الاحتلال الفرنسي 1830م، أصاب الاقتصاد التدهور والذي كان سببه الاوبئة والطاعون وسنوات القحط، التي تعرضت اليها البلاد وتأخر طرق وأساليب الزراعة والصناعة، والتي لم تعرف كيفية تحويل المواد الزراعية الى صناعية وركود التجارة التي انعكست على جميع نواحي الحياة الاقتصادية حيث كانت تتراوح نسبة سكان الجبال والأرياف ما بين (90 - 95 %) من اجمالي سكان الجزائر البالغ عددهم نحو 32 ملايين نسمة، وهذا ما يؤشر لنا أن النشاط الزراعي

¹ - صالح عابد، الجزائر خلال العهد التركي ، 1514 - 1830 ، ط2 ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،

الجزائر ، 2007 ، ص ص 335-336.

بمختلف فروع¹، هو السائد حيث كانت الطرق التقليدية التي عرفت الجزائر منذ الاف السنين هي المستعملة في الزراعة (المحراث والمنجل)، أما نظام الاروائية وتربية الماشية فكان يجري الاهتمام بها بشكل كبير ولا سيما الأغنام².

وقد اعتمدت الجزائر في تحصيل مواردها الداخلية على الزكاة التي تفرض على الماشية بالنسبة للمسلمين والضرائب بالنسبة لغير المسلمين، وهي بنسبة 11 % كما فرضت الضرائب على الجلود والعسل والغنائم، وكذلك فرضت رسوم على الأموال المتروكة بدون وريث وعلى الميناء وأماكن الترف واللهو، وهناك رسوم وغرامات مالية لم تخضع لنظام ثابت ومحدد بل كانت تختلف من مرحلة الى اخرى، وما عرف عن الحكر وهو الايجار الذي يدفعه الفلاحون نتيجة استثمارهم الاراضي الي تملكها الدولة فضلا عن ضريبة الخراج التي يدفعها أهل الذمة، وقد وجدت فرقة تعرف (بالمحلة) أو التحصيلات المحلية وهي المكلفة بجباية أموال الزكاة، وغيرها من أنواع الضرائب أما الواردات الخارجية³، للدولة فكانت تأتي عن طريق الغنائم التي يحصل عليها البحارة عبر المعارك البحرية التي يخوضونها والهدايا والحمولات والجزية التي كان يدفعها الاوربيون، فضلا عن الموارد التي تحصل عليها الدولة عبر التجارة من خلال الموانئ الجزائرية عند تصدير المنتجات الجزائرية الى خارج البلاد، وكذلك عن بيع العبيد وفداء الأسرى وقد كانت الجزائر تشكو من نقص في الطرق والمرافق الضرورية لإيواء المسافرين الأمر الذي يمثل عائقا في تنظيم التبادل التجاري على المستوى الخارجي، حيث اعتمدت التجارة على أساس المقايضة في أغلب الأحيان، وكانت الجزائر تسلك النقود بثلاثة أنواع هي العملات الذهبية والعملات الفضية والعملات النحاسية⁴.

¹ - عمار عمورة ، المرجع السابق ، ص 241.

² - نفسه ، ص 241 .

³ - نصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، العهد العثماني ، ص 399.

⁴ - محمد صالح فركوس، الحاج أحمد باي ، قسنطينة ، 1826 - 1850 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،

1993، ص 37.

ان أهم ما ميز العملة الجزائرية في العهد العثماني عدم استقرارها وصعوبة تحديد قيمتها بسبب تذبذب الأحوال الاقتصادية والسياسية في البلاد، مما ساعد على ندرة المعادن الثمينة وتسبب في تدني القدرة الشرائية .

ولارتباط الزراعة بالتجارة المحلية والخارجية قد أثرت على الانتاج الزراعي والواقع التجاري نفسه وبذلك كانت هناك اخفاقات اقتصادية امتدت طوال العهد العثماني .

VI- الأوضاع الثقافية:

أما بالنسبة لنشاط المجتمع الجزائري في الأوضاع الثقافية فقد أدى¹، اختلاط العناصر الاجتماعية في المجتمع الجزائري بداية تمازج بين الموروث الثقافي مع الثقافات الوافدة من خارج البلاد، نتج عن ذلك ظهور عدد من المدارس الدينية والفقهية التي انتشرت في انحاء الجزائر لتكون مراكز للثقافة العربية وقاعدتها المسجد والزوايا*، إذ عمل فيها عدد من علماء الفكر والعلم من المسلمين المشتغلين بعلوم الفلسفة والفقه والادب وباقي العلوم الاخرى، وكان لبناء الزوايا دور ثقافي واضح في النشاط الديني والعلمي إذ شاركت في تخريج عدد من الطلبة فضلا عن دور المساجد التي كانت تدرس العلوم المختلفة، حيث أن المسجد مكانا للعبادة ومدرسة للتعليم ودار للقضاء وماوى للطلبة وعابري السبيل² .

إن الولاة العثمانيين كان لهم تكوين ثقافي بسيط مع وجود العاطفة الدينية التي تتأجج في نفوسهم، لذلك يلاحظ على العهد العثماني في الجزائر قلة الانتاج الثقافي لعدم اهتمامهم بذلك الجانب الحيوي والثقافي، إلا في عدد من المدن الجزائرية التي حافظت

¹ - عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، 1700 - 1800، مقارنة اجتماعية واقتصادية، الجزائر، 2007، ص 36.

* الزوايا : هي بمثابة مساجد ومدارس وملاجئ وكان لكل زاوية شيخ ينشر تعاليمها بين انصارها ويقال لهم الإخوان وهناك مقدم يقوم بتوجيه اتباع الزاوية في المجالات الدنيوية ، وهو ما شجع على قيام عدد من الطرق الصوفية وانتشارها، أنظر كليل صالح، المرجع السابق، ص 125 .

² - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، بداية الإحتلال، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 03، 168 .

على التراث الفكري الذي ورثته ونبع فيه علماء وشعراء واتسع أفق أبنائها في مجالات أدبية ولغوية وعقلية مختلفة¹.

حمل المجتمع الجزائري على عاتقه نشر التعليم متأثراً بعوامل خارجية في مقدمتها هجرة الاندلسيين، الذين طوروا ميدان التعليم من قواعد اللغة و الأدب والعلوم والموسيقى وذلك من خلال احتكاكهم بالأوروبيين، في عصر النهضة بعد فتح الجامعات في أوربا وقد استعملوا لغة الخليط لغة فرانكا * lingua farnca عند التبادل التجاري مع الدول الأوروبية، التي تتعامل مع الموانئ الجزائرية لذلك ازدهرت الثقافة وكان دور العلم والمدارس تمول من واردات الأملاك الموقوفة التي أوقفها أصحابها في أعمال الخير والاصلاح والانفاق على شؤون تلك المدارس²، وقد حرص عدد من التلاميذ الجزائريون من ميسوري الحال على التزود بالعلم من مصادر خارجية فهاجروا الى مراكش وتونس ومصر والحجاز، والتفوا بعلمائها وتحصلوا العلوم على أيديهم وكانوا ينالون حظوة كبيرة من المكتبات في الجزائر قبل مجيء العثمانيين اليها، وقد حافظ عليها أبناء العهد العثماني أيضاً، وقد جلب الجزائريون المخطوطات من الدولة العثمانية وبلاد المغرب فضلاً عن أن معظم الكتب قد وردت الى الجزائر عن طريق عدد من العمال العثمانيين في الجزائر، حيث أن القضاة والعلماء قد جلبوا معهم مكتباتهم وأوراقهم ووثائقهم³، ومن أهم ما جاءوا به كتب الفقه الحنفي ونسخ من صحيح البخاري وكتب الأدعية والأذكار التي تصدر عن الطرق الصوفية، وكان النسخ بالخط العثماني الذي جيء به الى الجزائر

¹ - احمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1983 ، ص 18 .

* أولينغوا فرانكو هي اللغة الأكثر نجاحا في تاريخ العالم ، إذ يتم الكلام بها في كل قارة ويتعلمها معظم الطلاب في لاءالم كلغة ثانية وهي مفتاح العلوم والاعمال التجارية العالمية ، كونها لغة السواحل في كل الدول البحرية . أنظر كليل صالح، المرجع السابق، ص 128.

² - يحي بوعزيز ، المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20 م ، مجلة الثقافة ، العدد 63 ، 1981 ، ص 19.

³ - ابو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الإحتلال) ، ط 02 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص 159.

أما العلوم الدينية في العهد العثماني في المكتبات كانت فيها كتب التفسير والأحاديث الدينية والفقه والأصول والتوحيد والعلوم اللغوية والعقلية، أما التاريخ والجغرافيا والفلسفة وكتب الحساب والطب والفلك فكانت قليلة لكثرت المخطوطات في العهد العثماني،¹ وقد وضعت في مكتباتها التي كانت منقسمة الى مكتبات عامة وخاصة، وهي تضم مختلف المخطوطات في شتى الفنون، ويلجا اليها الطلبة والأساتذة من جميع النواحي للمطالعة فيها، فالمكتبات العامة كانت وفقا على المساجد والزوايا والمدارس، بينما كانت المكتبات الخاصة تنتشر في البلاد بين العائلات المشهورة بالعلم والأعيان الذين لديهم اهتمام بالكتب ونسخها .

ان المكتبات كانت موزعة بين أنحاء الجزائر من حيث الثقافة والاعتناء بتدريس العلوم، وحسب أهمية المدن كالجزائر العاصمة وقسنطينة وتلمسان فكان أهل قسنطينة مولعين باقتناء الكتب والبحث عن المخطوطات بسبب وجود العلماء والأدباء المتعلمين والمتقنين فيها، وقد ضاع عدد من المخطوطات لأن مصيرها كان غير آمن وذلك نتيجة الإهمال والنهب والتهريب والحروب، التي وقعت مع الأوربيين مما سمح للعلماء بأخذ الكتب الى بيوتهم وبيع بعضها خارج الجزائر، أما المكتبات الأخرى فكانت لها أهمية كبيرة كمكتبة ميزاب في بني يزقن، التي حافظت عليها أصحابها كمركز مهم لحركة الكتاب في الجزائر الغربية والجنوبية، وكما هو الحال في المكتبات الموجودة في مدن زواوة وورقلة وبجاية والخنقة، وهذا كله يدل على وفرة الكتب في الجزائر حتى في المناطق النائية ويبدو أن عدم اهتمام الحكام العثمانيين بالأوضاع الثقافية،² في الجزائر لم يمنع الجزائريين من استكمال ما بدأوه من العلوم الإسلامية والانسانية، والاهتمام بالمكتبات وثنائها بالكتب والمخطوطات والحفاظ عليها من التلف بحملها الى أماكن آمنة وبالتعاون

¹ - محمد بن الامير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر ، مطبعة عزوزي، الاسكندرية ، الاسكندرية ، 1903 ، ص ص 75 - 77 .

² - التعمروتي ، التحفة المرضية في السفارة التركية ، نقلا عن مولاي بلحميسي ، الجزائر ، من خلال رحلات المغربية العهد العثماني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1997 ، ص 139 .

مع العاملين في الجزائر لرصد المدراس والزوايا والجوامع بتلك الكتب المختلفة والقيام بنسخها يدويا للنهوض بالواقع السيء الذي فرض عليهم¹.

كانت ظروف المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني تتذر بالسوء جراء الاعتداءات المتكررة من قبل الدول الأوروبية الطامعة في مقدراتها والاستحواذ على المناطق العربية، لذلك عمل القادة الأتراك على تأمين وصول المسلمين الى المغرب العربي ومن ثم الدفاع عنها ضد هجمات الاسبان المتكررة، بالتحالف مع الدولة العثمانية للوصول الى مبتغاها وتأمين ثغورها من تلك الهجمات والملاحظ على تلك السنوات التي عاشتها الجزائر تحت الحكم الاسمي للدولة العثمانية أنها قد أرست قواعد الدولة وجعلتها في الدول الكبرى من خلال سيطرتها على البحر المتوسط، وقيام رياس البحر في فرض الضريبة البحرية على كل السفن المارة خلاله وتنظيم القوانين الشرعية والأحكام اللازمة في المجالات كافة، استمرت على مدة قرون بسطت خلالها الأمن والاستقرار مع عدم التدخل في بلاد القبائل أو في المشاكل التي لا تجد لها حلا، وكذلك سيطرة الحكام على أمور الدولة الفتية².

الا أن الملاحظ على أعمال الحكام وتصرفاتهم سلطوية نفعية باتجاه السيطرة على الجزائر وأبنائها لذلك سقطت في أول هجوم بري عبر مداخلها الغربية.

¹ - أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 398 .

² - الفكون ، منشور الهداية ، في حال من إدعى العلم والولاية تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله ، ط1 دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1987، ص 35 .

تعتبر الفترة من القرن السادس عشر إلى مطلع القرن التاسع عشر مرحلة هامة في تاريخ الجزائر العثمانية في شتى المجالات وبالرغم من أهمية هذه الفترة إلا أنها وللأسف الشديد لم تحضي بعد بالاهتمام والقدر الكافي من الدراسة والبحث.

فليس في الإمكان معرفة مجتمع دون معرفة تاريخه فتاريخ المجتمع هو الذي يبين لنا مقدار نموه وتطوره خلال المراحل التي مر بها كما يوضح لنا مدى استجابته لأنماط من خلال احتكاكه بالغير واطلاعه على نظمه وتقاليده وثقافته، لقد قال المؤرخ الفرنسي أوغسطين تيري في هذا العدد "أن المجتمعات الإنسانية لا تحيا فقط في الحاضر وإنما يهملها معرفة من أين انحدرت لتستطيع أن تبين وجهتها في المستقبل "

فقد تناولنا في هذا المبحث واقع المجتمع الجزائري تعرضنا فيه إلى بنية المجتمع الجزائري وتركيبته وفئاته الاجتماعية ثم تطرقنا إلى الواقع الديمغرافي أشرنا فيه إلى عدد سكان الجزائر طيلة الفترة العثمانية وتحليل أسباب وعوامل نموه وتقهقره كما تطرقنا أيضا إلى الواقع الصحي أين وضعنا أهم الأمراض والأوبئة وأسباب انتشارها .

المبحث الأول : بنية المجتمع الجزائري وتركيبته السكانية .

قسم الأوروبيون المجتمع الجزائري في دراساتهم خلال العهد العثماني 926-1246هـ / 1519-1830م . إلى عدة مجموعات معتمدين في ذلك على عنصر العرق فقسمه بعضهم إلى سبع مجموعات هي الأتراك، والكراغلة، والعرب، والبربر، والأندلسيون، واليهود، والزنج¹ .

وهناك من قسمها الى مجموعات فرعية فتم تقسيم الأتراك إلى عناصر تركية، ودخلاء، انضموا إليهم مثل الإغريق والصقليين، والألباس، والكوسيكين وغيرهم.

إن المجتمع الجزائري لا يختلف عن باقي المجتمعات الأخرى وبالرغم من تنوع فئاته السكانية فإنها كانت تتميز بالانسجام والترابط وهناك من قال عن سكان المدن أنهم "عبارة

¹ - ويليام سبنسر، المرجع السابق، ص 81 .

عن خليط من العرب والبربر وبقايا الأجناس التي غزت البلاد عبر العصور والمهاجرين من الأندلس والأتراك¹.

اعتقد أن الامتزاج الحقيقي الذي عرفه المجتمع الجزائري والذي ادخل عليه بعض الملامح الأوربية قد كان عن طريق الأندلسيين والأتراك العثمانيين والأعلاج الذين اختلطوا بالعنصر المحلي، الأمازيغ، والعرب .

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم المجتمع الجزائري في العهد العثماني إلى مجموعتين أساسيتين هما سكان المدن 5 % وسكان الأرياف الذين يمثلون الأغلبية الساحقة 95 %².

وكل مجموعة من المجموعتين تتكون من عدة فئات حيث تختلف أوضاع كل واحدة عن الأخرى سواء من حيث العدد أو المكانة الاجتماعية وعموما يتميز المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني بتعدد الطبقات نظرا للتباين الذي طرأ على الأصول إذا كان يتشكل من الأتراك والجزائريين والكراغلة والمهاجرين الأندلسيين والزنوج واليهود والأوربيين ولهذه التشكيلة شكلها الهرمي الذي أخل بالتوازن من حيث المستوى المعيشي على أساس الثروة مما أدى الى ظهور الطبقة التي تحكمت فيها مختلف الظروف إلا أن هذا التنوع لم يؤثر على ترابط المجتمع الجزائري ولعل أبرز دليل على تلك العظمة التي وصلت إليها الجزائر في القرن السابع عشر وفيما يلي هذه الفئات باختصار³:

1- الأتراك العثمانيون: صنف هايدوا الأتراك إلى صنفين أترك بالأصل وأترك بالمهنة ويقصد بالصنف الأول القادمين من الأناضول وباقي أجزاء الدولة العثمانية الذين جذبتهم بفضل الأعمال التي كان يمارسها أسطولها في البحر المتوسط أما الصنف الثاني فهم

¹ - ويليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816 - 1820، تعريب وتعليق وتقديم اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 54 .

² - نفسه، ص 114 .

³ - أحمد السليمان، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص 34 .

المسيحيون الذين دخلوا في الإسلام وأصبحوا أتراك وقد كان لهم نفس الامتيازات التي يتمتع بها الأتراك بالأصل تقريبا وكانوا يسمون بالعلاج .

وقد احتل الأتراك المرتبة الأولى في الهرم الاجتماعي وقد، وفدوا أغلبهم من آسيا الصغرى (الأناضول) وانضموا إلى صفوف اليولداش وكانوا ينادون بالأفندي والسيد بالجزائر حتى صغار الانكشارية¹.

وقد عرف عدد الأتراك العثمانيين ارتفاعا في القرن 11هـ/17م وتعود أسباب ذلك الى استمرار عملية التجديد من الولايات العثمانية المشرقية وكان الجنود الأتراك يستقرون في الحصون والثكنات وقد مكنهم النظام المالي الذي يخضع له اليولداش من الوصول إلى أعلى المراتب فكان منهم الباشوات والوزراء والبايات ورؤساء البحر والرياس والأغوات وقواد البحر كما كان منهم أعضاء الديوان أو البرلمان يعيشون في جوسياسي يسوده في أغلب الأحيان الاستبداد والفساد والرشوة والانحراف والظلم² .

وقد عرف عدد الأتراك العثمانيين في الجزائر انخفاض ابتداء من أواخر القرن 12هـ/18م. ويبدو أن السبب الرئيسي يعود الى قلة المجدين من المشرق ومن الأسباب الأخرى التي أدت إلى تقلص عدد الأتراك العثمانيين كثرة الحروب الداخلية وانتشار الأوبئة والكوارث الطبيعية³ .

والملاحظ أن غالبية الأتراك هم من العزاب حيث أن أفراد الانكشارية لم يكونوا يصطحبون معهم عائلاتهم إلا نادرا ورغم ذلك فقد اختار البعض منهم المصاهرة ببعض العائلات المحلية رغبة في الاندماج في المجتمع المحلي⁴ ومن هنا نشأت فئة جديدة هي

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 107.

² - صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر (1814 - 1962) ، دار العلوم للنشر والتوزيع، ص 79-80 .

³ - ويليام سبنسر، المرجع السابق، ص 111 .

⁴ - أرزقي شويتام ، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830 ، دار الكتاب العربي، للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 79.

فئة الكراغلة ورغم كون الأتراك الذين وفدوا إلى الجزائر من أصول مختلفة إلا أنهم منسجمون مع بعضهم البعض ويسود بينهم الانضباط¹.

وقد استمر عدد الأتراك العثمانيين في التقلص حتى أصبح في عام 1246هـ / 1830م لا يتجاوز أربعة آلاف نفر، وقد تمتع الأتراك بامتيازات كبيرة حيث كان لهم الأولوية في كل شيء فقد استطاع العديد منهم تجميع ثروات طائلة كما تميز الأتراك عن غيرهم من السكان وذلك باتباع التقاليد التركية والافتخار بأعمالهم العسكرية والاعتزاز بلغتهم الأصلية والعزوف عن خدمة الأرض وكان معظم الأتراك يفضلون كسب عيشهم من المرتبات التي يحصلون عليها من خزانة الدولة أو من إيجار المحلات التي تحمل أسمائهم أو من إيجار البساتين التي يملكونها في المناطق التي يقيمون بها².

2- فئة الكراغلة :

إحتلت المرتبة الثانية، وهم المولدين بين نتيجة التزاوج بين الجند الإنكشاري ورياس البحر بالنساء الجزائريات، وكانت هذه الفئة تطمح بالميلاد واللغة والانتماء العائلي للارتقاء إلى المرتبة الأولى في المجتمع. لكن الحكام العثمانيين منعوهم من ذلك، واعتبروهم أبناء عبيد، لأن وجودهم في مناصب الدولة أو الجيش يشكل خطرا على مصالحهم بحكم الانتماء الى أهالي جزائريين، ولهذا كان وجودهم يعبر عن إرادة الأتراك في الحفاظ على طائفتهم³.

وظهرت هذه الفئة لأول مرة في المدن التي كانت تقيم بها الحاميات العثمانية خاصة مدينة الجزائر وقسنطينة، وتلمسان، وعنابة، وبسكرة، وقد بلغ عددهم مع نهاية القرن 18م بمدينة الجزائر نحو 600 نسمة، وكان الكراغلة يشكلون طبقة وسطى تمارس العديد من الوظائف كالتجارة والمهام الإدارية المتوسطة، وأيضا الانضمام إلى صفوف الجيش

¹ - أرزقي شويتم، المرجع السابق، ص 34 - 35 .

² - نفسه، ص 64 .

³ - نصر الدين سعيدوني، والمهدي بوعبدلي، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،

1984، ص 93 .

والحصول على إمتيازات العثمانيين، ومع مطلع القرن 19م أصبحت معظم المهام الإدارية بالجزائر من إختصاصهم¹، كما كانوا هم العنصر المسيطر من حيث العدد والنفوذ في منطقة تبسة، فيملكون الأراضي ويرتفعون عن خدمتها ويقطنون أحسن وأجمل الأحياء، إضافة إلى أنهم لعبوا دورا هاما في بعض الأحداث إذ وقفوا إلى جانب الداوي علي خوجة لإخماد التمرد الإنكشاري في سنة 1817م وساعدهم هذا على الإحتفاظ ببعض الإمتيازات وتوليهم المناصب الهامة نتيجة سياسة الترضية التي إنتهجها بعض القادة أمثال الداوي شعبان أغا الذي قام بترقية بعض الكراغلة إلى مناصب سامية حيث ولى بايلك الغرب الكرغلي مصطفى العمر سنة 1636-1648، ومع نهاية العهد العثماني أصبح همهم تنمية ثرواتهم وتنشيط تجارتهم².

وهكذا أدت سياسة التقارب إلى حدوث أثر نسبي في العلاقة بين الكراغلة والأهالي، إذ أصبح الجزائري ينظر إلى الكرغلي نظرة مساوية للأتراك السادة³. وعلى العموم إعتنق بعضهم الإسلام، وأصبح تركيا لغة وجنسا، ويأمنون المساجد الحنفية كما إستطاعوا الإرتقاء إلى مراكز النفوذ، وتحسين حياتهم بأنفسهم. كما إختلطوا بأهلها وأثروا في الحياة السياسية والإجتماعية الجزائرية، حيث كان سكان بعض الغرب الجزائري على صلة بالإسبان في وهران⁴.

3. فئة الحضر:

يحتلون المرتبة الثالثة في الهرم الإجتماعي، وتضم هذه الفئة كل من، العلماء والتجار، وأصحاب الحرف، والصناع، والكتاب، والإداريين، كما تتألف أساسا من المجموعات السكانية، القاطنة بالمدينة بشكل دائم، والتي تعود أصولها إلى الفترة الإسلامية، وما إنضم إليهم من أندلسيين وأشرف، وهم بذلك خليط من قبيلتي بني هلال المتواجدة في

¹ - ارزقي شويتم، المرجع السابق، ص ص 40-41.

² - نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 43.

³ - عزيز سامح آتو، المرجع السابق، ص 136.

⁴ - نفسه، ص 154.

سهل متيجة، والمغاربة من قبيلتي بني مزغنة أحفاد الصنهاجيين كانت لهذه الفئة دورها الاجتماعي والإقتصادي والعسكري، لكنها محرومة من المهام السياسية، وذلك لإحتكار العثمانيين للسلطة، وقد مارسوا العديد من الحرف والمهن فكان منهم الصناع، والتجار النشيطون، والتجار المغامرون والفقهاء، والبنّاؤون، والنجارون، كما كان منهم أصحاب المحلات التجارية وحتى أصحاب البساتين التي تنتج فيها كل أنواع الخضر والفواكه، كما يربون عليها الأبقار والأغنام المخصصة للإستهلاك من طرف سكانها¹.

ومن أهم العناصر المشكلة لهذه الفئة: الجالية الأندلسية وطبقة الأشراف.

أ - جماعة الأشراف:

تمثل فئة قليلة العدد، إلا أنها تعود في نسبها إلى أهل البيت. والتي إشتهر معظم أفرادها بالإحترام، والتقدير للحكام وباقي السكان. وإقتصروا نشاطهم في المحافظة على إمتيازاتهم، إضافة إلى أنهم لم يؤثروا في نظام الحكم².

وقد إستقروا الأشراف في المدينة منذ القديم، وهم أحسن وضعية من الأهالي كونهم معفون من الرسوم من خلال الإمتيازات التي منحهم إياها عروج. ويشغل أفرادها في التجارة والصناعة، والبساتين وتتمثل منتوجاتهم في القمح والشعير والحريز، والأغنام، والأبقار.

ب - الجالية الأندلسية:

يعتبرون من أبرز العناصر السكانية المشكلة للمجتمع الجزائري نظرا لقوتهم العددية، ولدورهم في شتى مجالات الحياة، ويعود تواجدهم بالجزائر إلى الفترة الإسلامية³. ثم تواصلت هجراتهم إلى الجزائر، حتى قوي شأنهم وإزداد نفوذهم خلال القرن 15م مع إضطهاد الإسبان لهم وتهديداتهم في عقيدتهم ولغتهم.

¹ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514 - 1830)، ط 2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 357 - 358.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10، دار البصائر، ج 1، الجزائر، 2007، ص 149.

³ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 362.

كان للأندلسيين تأثير في المجتمع الجزائري ومكسب تاريخي في المغرب الإسلامي وخسارة الإسبان. لكونهم أكثر ثقافة وتطورا ونشاطا، وإستقرت هذه الجالية في كل من شرشال، تنس، دلس، ومستغانم، وقاموا بتشييد مدن جديدة كالبليدة، كما ساهموا في تطوير البحرية الجزائرية بأموالهم وخبراتهم في صناعة السفن والأسلحة، وكذا معرفتهم بالملاحة¹.

إضافة إلى مساهمتهم في المجال الإقتصادي بتطويرهم للمهن والأشغال اليدوية كونهم يمارسون كل الأشكال الفنونية كالخياطة والخزف، والنجارة، والفخار. خاصة صناعة الحرير بإدخالهم لدودة القز. ولم يكتفوا بهذا الحد بل ساهموا في تطوير الفلاحة من خلال وضع تقنيات الري بإنشاء السواقي، أما الجانب العمراني فقاموا بتحسين المدينة بواسطة بناء الحصون منها حصن الجزيرة، إضافة إلى هذا تفننوا في النحت والموسيقى، والخط والتعليم، والطب والوراقة².

كما عملوا على إثراء الحياة الإجتماعية بتقاليدهم وعاداتهم، حيث تميزوا برقة الذوق وتميزهم في المأكولات كطبق اللحم الحلو، والملبس كالقفطان . رغم مشاركتهم في الأعمال التجارية، والبحرية، والاقتصادية، إلا أنهم لم يطمعوا في الارتقاء إلى المناصب السياسية³.

4- فئة البراني⁴:

هم سكان المدينة المؤقتين، أي الناصر المحلية الوافدة إليها من مختلف الأقاليم المجاورة لها، وحتى من داخل البلاد بغرض البحث عن العمل لكسب لقمة العيش، وهم بذلك عبارة عن بدو يسكنون الخيام ويعرفون بإسم القبيلة. وينتسبون إلى موطنهم الأصلي وعلى رأس كل منها أمين مكلف بالسهر على مصالحها

¹ - احمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا 1766 - 1791، المكتب الوطني للكتاب، الجزائر، 1986، ص 358

² - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 164 .

³ - جون وولف ، الجزائر وأوروبا ، (1500 - 1830) ، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 163.

⁴ - البرانية مأخوذة من الدرجة (وير) معناها خارج : والبراني هو الشخص الغريب أنظر المرجع أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 168 .

وتولى شؤونها ويساعده في ذلك أعوان¹.

واختصت كل جماعة من جماعة البرانية في المدينة بالقيام بأعمال معينة، وأبرز تلك الجماعات السكانية التي كانت تشكل جزءا هاما وفعالا في المجتمع الجزائري منذ إستقرارها بالمدينة².

أ- جماعة البسكرة:

تتكون من أهالي مناطق الزيبان ووادي ريغ ووادي سوف وتوقرت. وهم حوالي إثني عشر قبيلة إنضوت تحت البسكرة الذين قدموا إلى المدينة بحثا عن العمل للعيش³.

وكان زعيم هذه الجماعة يعرف بالبسكري، وقد عمل أفرادها في مختلف المهن المتواضعة والأعمال الشاقة، كالقيام بحراسة المدينة ليلا بغلق أبواب أحيائها بعد صلاة المغرب، كما أوكل إليهم إحضار المياه إلى المنازل وتنظيف الشوارع وقنوات المياه، وحفر الآبار وكذا حمل البضائع، وجمع الأوساخ⁴.

ب- جماعة بني ميزاب:

ينتسب إليها السكان المنحدرون من غرداية وبني يزقن ومليكة، وبريان، والقرارة بالإضافة إلى سكان بني ميزاب ومناطق الشعانة وورقلة، وهم من أتباع المذهب (الإباض)⁵، وقد تخصص أفرادها في تسيير وإدارة الحمامات ومطاحن الحبوب، كما كان منهم البقالون، والجزارون، وكذلك بيع اللحوم ونقلها مع البضائع كما إشتغلوا بالمقاهي والداكاكين، والمتاجرة في ريش النعام والعبيد. وهكذا عرفت هذه الفئة في تفانيها في العمل والحرص على وجود السلع ونزاهتها.

¹ كورين شوفالييه، الثلاثون السنة الأولى لقيام مدينة الجزائر (1510 - 1540)، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 2007، ص 17.

² نفسه، ص 20.

³ نصر الدين سعيدوني، البوعبدلي، المرجع السابق، ص 100.

⁴ وليام سبينسر، المرجع السابق، ص 83.

⁵ نصر الدين سعيدوني، البوعبدلي، المرجع السابق، ص 99.

وقد بلغ عددهم مطلع القرن 19م حوالي ألف نسمة¹.

ج- الجماعة الجبلية:

يعتبرون من أقدم العناصر البرانية المستقرة بالجزائر، لكسب قوتها منذ استقرار الأخوين بربروس عروج وخير الدين بجيجل. وقد إختصوا بالعمل في المطاحن والمخابز².

د- جماعة الأغواطيين:

ينتسبون إلى مدينة الأغواط وقبيلتي الزناجرة وأولاد نايل ويرجعون إلى العناصر النازحة من الجنوب، وهم فئة قليلة العدد والأهمية، إذ يقومون بأعمال متواضعة، كإستخلاص الزيوت والمتاجرة فيها، ويشغل البعض الآخر في نقل البضائع وأعمال التنظيف، وأيضا الكيل والوزن في الأسواق³.

هـ- جماعة القبائل:

يعود أصلهم إلى المناطق الجبلية القريبة من مدينة الجزائر لغرض العمل ومعظمهم من جرجرة، إذ بلغ عددهم في القرن 19م نحو أربعة آلاف نسمة إشتغلوا في الدكاكين والبساتين، وتجارة الفحم والألبان والزيوت⁴.

5- الجالية اليهودية:

تشكل العنصر المهم بين الدخلاء، ويتقرون حسب أصولهم إلى ثلاثة أقسام: اليهود الأهالي التوشابيم المستقرين منذ العهد الروماني⁵، ثم عرفوا باليهود العرب من طرف المسلمين الجزائريين، أما يهود الميغورثيم والمعروفين باليهود الأندلسيين إضافة إلى يهود الإفرنج أو يهود النصارى الذين جاءوا من البلدان الأوروبية خاصة إيطاليا، كيهود ليفورن وإستوطنوا الجزائر كعائلي بكري وبوشناق⁶.

وكان يتولى تسيير شؤونهم مقدم اليهود، ولقد مارسوا الكثير من الحرف أهمها التجارة،

¹ عمار بوحوش، تاريخ سياسة الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص 75.

² نصر الدين سعيدوني، البوعبدلي، المرجع السابق، ص 101.

³ محمد بن محمد بن عمر العدواني الجزائري، تاريخ العدواني، تق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 115.

⁴ صالح عباد، المرجع السابق، ص 359.

⁵ فوزي سعد، يهود الجزائر، شركة الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 1995، ص 120.

⁶ عبد الحميد أشنوها، أترك العثمانيين في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1972، ص 82.

إذ كان لهم متاجر لبيع الخردوات، وكان منهم البقالون، والخياطون، وصانعوا لزجاج¹. بالإضافة إلى صك العملة، وصناعة المجوهرات خاصة الحلي والمرجان، وكذا بروتهم في بيع الغنائم البحرية كالخمور واللحوم، وأيضا لعبوا دورا لوساطة التجارية والسمسرة حتى أصبحوا من كبار الأغنياء².

برز اليهود في المعاملات التجارية والمفاوضات بين التجار، هذا مكنهم من إحتكار التجارة الخارجية من طرف عائلتي بكري وبوشناق، كما ساهموا في التأثير على الحياة السياسية والاقتصادية خاصة في المراحل الأخيرة من الحكم العثماني، رغم حرمانهم من ممارسة الحياة الإدارية، إلا أنهم تمكنوا من دخول خزينة الدولة الجزائرية وإطلعوا على أسرارها.

لكن هذا لم يمنع أن يبقوا من أدنى الطوائف الحرة في المجتمع الجزائري، حيث كانوا يخشون السلطة إلى درجة أنهم عاملوا عبيدهم معاملة حسنة³.

6- فئة المسيحيين:

عرفوا بالدخلاء أي العناصر الأجنبية عن المجتمع الجزائري الإسلامي، وهم لا يرقون في الأهمية بالنسبة للطبقات الأخرى، كانت هذه الفئة تضم التجار الأجانب والقناصل ورجال البعثات الدينية والتبشيرية، وكذا جماعات الأسرى المسيحيين وهم الأغلبية في المجتمع الجزائري وغدوا إليه لأغراض سياسية وإقتصادية ودينية، وقد عمل بعضهم في النشاط البحري على السواحل الجزائرية، أما البقية الأخرى عملت في المزارع وشق الطرق، وبهذا إستفاد الجزائريون من الأجانب الأوروبيين من خلال التعرف على الروم والتبادل في التجارب والمهارات العسكرية. خاصة بناء السفن وحماية المراسي. كما إشتغل العبيد المسيحيون في رعاية البساتين وخدمة قصور الدايات⁴.

وبلغ عددهم في القرن 18م نحو 1800-2000 أسير كان مصدرهم القرصنة والحملات الأوروبية على الجزائر⁵، حيث جاءوا من فرنسا، وإيطاليا، وإسبانيا وروسيا

¹ أرزقي شويتم ، المرجع السابق، ص 92.

² فوزي سعد الله ، المرجع السابق ، ص 163.

³ وليام شالر ، المرجع السابق، ص 89.

⁴ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص150.

⁵ أرزقي شويتم ، المرجع السابق، ص 96.

مارسوا مختلف الأعمال الشاقة كالنظافة والتجديف مقابل حريتهم إذا كانت حياتهم عموما حسنة لهم لغة للتخاطب بها . أما القناصل ورجال الدين يعيشون في معزل عن باقي السكان وغير مجبرين بدفع الضرائب وحتى القوانين المعمول بها . بالإضافة إلى أنهم يسكنون منازل خاصة ضمن أحياء معروفة بهم كحي باب الوادي¹.

7- جماعة الزنوج:

تتكون من الأحرار والعبيد السود الذين جاءوا عبر الواحات الصحراوية بحثا عن العمل². كان أغلبهم من السينغال والسودان، قد بلغ عددهم في القرن 18م ما بين 2000-3500 نسمة بمدينة الجزائر. إشتغل هؤلاء العبيد في الأعمال المنزلية من خلال قيامهم بالتنظيف والغسيل.

أما الأحرار فكانوا في شكل جماعات منظمة يرأسها أمين يدعى قائد الوص. ومارسوا مختلف المهن كالبناء والنسيج إضافة إلى ممارسة بعض الفنون كالغناء والرقص والموسيقى³.

المبحث الثاني : الوضع الديموغرافي

بعد ان تعرفنا على التركيبة السكانية للمجتمع نحاول في هذا الفصل ان نقدم بعض الإحصاءات التي وردت في مختلف المصادر، ونتبع من خلالها حركة نمو السكان.

تعد عملية تعداد سكان الجزائر عبر مختلف مراحل الحكم العثماني من القضايا الشائكة والمعقدة نظرا لعدم زفرة المعلومات والبيانات الإحصائية الرسمية .

ان المهتمين بالإحصاءات قد اكتفوا بإحصاء السكان المقيمين بالمدن، دون ان يأخذوا بعين الاعتبار سكان المناطق الريفية والصحراوية لعدم وجود بيانات إدارية يعتمدون عليها، ولا سيما القبائل الممتنعة عن دفع الضرائب ولهذا لا يمكن قيدها في

¹ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 144.

² ناصر الدين سعيدوني ، مهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 100-101.

³ عبد القادر نور الدين ، صفحات في تاريخ الجزائر ، من أقدم عصورها إلى العهد العثماني ، ط 2، مطبعة البعث ، 1965، ص 138.

سجلات بين البايليك، كما انه اضحى من الصعب على الأجنبي التوغل داخل جهات معينة في بعض المناطق الجبلية والصحراوية .

ولهذه الاعتبارات كلها يجب ان لا نعتمد اعتمادا مطلقا على مختلف الإحصاءات التي وردت في المصادر الأجنبية أو حتى المحلية وقد أبدى القنصل الفرنسي في الجزائر، السيد فالير في أواخر القرن 12 هـ/18م . نفس الملاحظة، اذ قال : "ان عدد سكان الجزائر قليل اذا قارناه بمساحتها الواسعة انه من الممكن معرفة أولئك المقيمين بالمدن . ولكن كيف يمكن تعداد أولئك القاطنين بالأرياف والجبال والرحل¹ " .

إن الحقيقة المؤكدة هي إن عدد سكان الجزائر قد عرف في القرنين 10 و11 هـ/16 و17م. ارتفاعا ملحوظا .

ويمكن ارجاع ذلك الى توافد عدد كبير من المسلمين واليهود الاندلسيين والعثمانيين القادمين من مختلف الولايات العثمانية، كما ان لتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وقلة انتشار الامراض والأوبئة دورا في ارتفاع عدد السكان .

وقد اكتفى الحسن الوزان الذي زار الجزائر في مطلع القرن 10 هـ/16م بالإشارة على عدد الكوانين² او البيوت التي كانت تضمها بعض المدن الجزائرية فكانت بجاية تضم ثمانية آلاف كانون ونفس العدد بالنسبة لقسنطينة اما مدينة الجزائر فكانت تحتوي على أربعة آلاف كانون³.

ومن الملاحظات التي يمكن استخلاصها هي ان بعض المدن الجزائرية قد عرفت نموا ديموغرافيا وعمرانيا واسعا، مثل مدينة الجزائر وشرشال، كما ظهرت بعض التجمعات السكانية في البلدة والقلعة، في الوقت الذي فقدت فيها بعض المدن الأخرى مكانتها كما هو الحال بالنسبة لبجاية .

¹ - محمد بن محمد بن عمر العدواني الجزائري، المرجع السابق، ص 130.

² كانت طريقة الإحصاء السائدة في الجزائر، هي الكانون، ويعني بها الأب والأم والأولاد، وكلما تزوج أحد الأبناء يشكل كانونا، أنظر المرجع، ويليام سبنسر، المرجع السابق، .

³ التيمقوتي، المرجع السابق، ص 145.

- ويمكن إرجاع هذا النمو الى عدة عوامل منها :
- ارتفاع عدد الوافدين من العثمانيين والاندلسيين¹ .
 - مصاهرة الأهالي للوافدين، أدى الى ظهور عنصر جديد المتمثل في الكراغلة .
 - تزايد نشاطات البحرية الجزائرية، وقد ساهم في جلب عدد كبير من الاسرى المسيحيين
 - توافد العناصر السودانية نتيجة الاتصالات التجارية .
 - قلة انتشار الامراض والأوبئة² .
- وقد ذكر هايدو³ ، ان عدد المنازل في مدينة الجزائر في أواخر القرن 10هـ/16م .
- كان يقدر بإثني عشر الف ومائتي منزل وهي موزعة على النحو التالي :

الأصل	العدد
البلدية	2500
القبائل	600
الاندلسيون	1000
الأتراك	1600
الاعلاج	6000
أصول مختلفة	500
المجموع	12200

وبعد ان عرف النمو الديموغرافي استقرارا، دخل في مرحلة التراجع إبتداءا من منتصف القرن 11هـ/17م وتعود أسباب ذلك الى توقف هجرة الأندلسيين وانتشار ظاهرة الأوبئة نظرا للاتصالات الكثيفة للجزائر مع العالم الخارجي، كما ان البلاد تعرضت في عدة فترات للكوارث الطبيعية، وكذا الحروب الداخلية والخارجية⁴ .

¹ - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص.111

² صالح عباد ، المرجع السابق، ص 354.

³ fde . Haedo. Op cit , P 64.

⁴ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال) ط3، المرجع السابق ص 196.

وقد كان لهذه العوامل تأثير سلبي على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، مما تسبب في تدهور الحياة المعيشية للسكان، وارتفاع عدد الوفيات فيهم وتناقص عددهم . ومن المصادر المحلية التي اهتمت بإحصاء سكان الجزائر وقدمت بعض الأرقام عنهم فقليلة، منها كتاب المرأة لحمدان بن عثمان خوجة، الذي عاصر الفترة الأخيرة من العهد العثماني، وذكر عن عدد السكان ما يلي: "يسكن إيالة الجزائر عشرة ملايين نسمة. وتتكون هذه الإيالة من مدن وارياف، غير ان الجزء الأكبر الذي هو قاعدتها ومصدر ثروتها يوجد خارج المدن ¹ .

ويعتبر حمدان خوجة المصدر الوحيد الذي قدم هذا العدد، ويبدو انه بالغ فيه فالكتاب الذي تضمن الإحصاء، عبارة عن عريضة موجهة للسلطات الفرنسية، قدم فيها مشهد عن الجزائر من شأنه ان يثني السلطات الفرنسية عن احتلالها، فبالغ في بعض المعطيات وكان صادقا في أخرى مثل قوله ان الجزء الأكبر من السكان يقطنون في الأرياف، وهوما أكدته جل المصادر، حيث تشير الى ان نسبة سكان الأرياف كانت تتراوح ما بين 90 و95 بالمائة.²

اما بعض الدراسات العلمية الحديثة فإنها أجمعت على ان العدد الإجمالي لسكان الجزائر، كان يقدر في السنوات الأخيرة من العهد العثماني بحوالي ثلاثة ملايين نسمة مستندة في ذلك الى التحاليل المختلفة للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائر.³ وتقدم الوثائق والسجلات العثمانية، التي قيد فيها أسماء القبائل والاعراش وأصحاب الحرف والمهن والتجارة، الذين كانوا يدفعون الضرائب، إحصاءات جزئية عن عدد السكان.

كما تقدم سجلات الأوقاف، التي تلقي الأضواء على عدد العقارات المحبسة وأسماء الموقفين، والمنفعين، معطيات مهمة يمكن الاعتماد عليها في معرفة جانب من

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المرجع السابق، ص164.

² نفسه، ص 170.

³ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، المرجع السابق، ص 169.

عدد السكان وقد قمنا على سبيل المثال، بإحصاء عدد الديار المحبسة في مختلف احياء مدينة الجزائر، خلال السنوات 1228 هـ / 1813م، 1237 هـ / 1812م. فكان عددها خمسمائة وخمسة وأربعين دارا، وهي موزعة على واحد وعشرين حيا.¹

ولكن مهما كانت أهمية هذه الوثائق الأولية، فإنها تبقى هي الأخرى ناقصة اذ تكفي بتقديم صورة جزئية لعدد السكان وذلك لعدم اكتمال الوثائق والسجلات من جهة أخرى. إلا أنها يمكن ان تغطي ناحية معينة وفترة زمنية محددة .

نستخلص مما تقدم ان بعد الركود العام الذي عانت منه الجزائر في أواخر القرن 9 هـ / 15 م، فإن سرعان ما تحسنت الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية مما ساعد على ارتفاع عدد سكانها إبتداءا من أواخر القرن 11 هـ / 17م.

وتعود الأسباب الى تناقص عدد الوافدين، وكذا اشتداد وطأة الأوبئة، التي أودت بحياة عدد كبير من السكان .²

وإذا كانت مصادر القرنين 12 و 13 هـ / 18 و 19م قد قدمت بعض الإحصاءات عن مختلف جهات البلاد .

فهي تكاد تتفق على ان عدد السكان قد تقلص بشكل يلفت الانتباه، واحسن دليل على ذلك التناقص المعتبر الذي عرفته المدن الرئيسية مثل مدينة الجزائر وقسنطينة حيث تقلص عدد سكانها بأزيد من نصف العدد.

المبحث الثالث : الاوضاع الصحية

شهدت الجزائر العثمانية تفهقرا اقتصاديا واضمحلالا اجتماعيا واكبر سوء الأحوال الصحية والمعاشية خلال القرنين الرابع عشر (14م) والخامس عشر (15م) بعد الحروب الطويلة وما نجم عنها من خراب للمدن فقد اصبحت دلس وهنين مجرد خرائب ثم ما لبثت. أن تحسنت أوضاع البلاد طيلة القرن السادس عشر (16) والنصف الاول من

¹ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، المرجع السابق ، ص 93.

² ناصر الدين سعيدوني، المرأة التركية الوراثة للتقاليد الوطنية الإسلامية، في مجلة الأصالة، عدد 46، ص 559..

القرن السابع عشر بعد قدوم الموريسكيين واستقرارهم بالجهات الساحلية يستصلحون أراضيها ويعمرون مدنها وقراها وتوسع عمران مدن الجزائر ودلس وتنس وشرشال والقليلة والبليدة وعنابة وقسنطينة ووهران وتلمسان ومستغانم وقلعة بني راشد ومازونة والمدينة ومليانة وزمورة وغيرها وانتشرت إلى القرى والعمارة الريفية القريبة منها¹.

لم يطل هذا التحسن كثيرا إذ عرفت البلاد ركودا اقتصاديا وانكماشاً عمرانيا طيلة النصف الثاني من القرن السابع عشر (17م) والنصف الأول من القرن الثامن عشر (18م) بعد ذلك ساءت الأوضاع الاقتصادية وأقفرت الأرياف والمدن من سكانها وتكاثرت الأعراض والأوبئة الفتاكة مما أثر سلباً على حالة السكان الصحية والمعاشية وترك أثراً سيئاً على أوضاعهم الاجتماعية ابتداءً من أواخر القرن الثامن عشر (18م) تضاعل عدد سكان المدن وتناقص سكان الأرياف مما تسبب في ضعف قوة الأوجاق أدى هذا الوضع إلى تناقص عدد التجار وقدرة الحرفيين والصناع وإفتقار الأرياف إلى اليد العاملة الزراعية². والظاهر أن ذلك التدهور يرجع إلى إنتقال العدوى وإنتشار الأمراض من الأقطار المجاورة بسبب صلة الجزائر ببلدان البحر الابيض المتوسط وانفتاحها على أقاليم السودان وعلاقتها التجارية مع أوروبا وارتباطها الروحي بالشرق الاسلامي³.

الأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني :

بالحديث عن الامراض والأوبئة نجد ان كثيرا منها ضربت إيالة الجزائر، كالكوليرا والتيفوس والطاعون، حيث كانت لا تختفي في منطقة إلا لتعود للظهور في منطقة أخرى، ومما زاد من خطورتها تزامنها مع انتشار الجفاف والمجاعات والكوارث الطبيعية المتمثلة في الزلازل وفترة البرودة القارصة واجتياح الجراد، هذا بالإضافة الى جهل أغلبية السكان

¹ محمد عليو، الحياة الاقتصادية الإجتماعية لمنطقة معسكر خلال القرن 18 وبداية القرن 19 (1701-

1830)، جامعة معسكر، ص 119

² عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر (الطبيعية والاقتصادية والبشرية)، ط1، الجزائر، 1968، ص 110.

³ ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 561.

بأبسط قواعد الصحة، كما أدت قلة الادوية أيضا الى زيادة الحالة الصحية سوءا، فالبلاد تكاد تخلو من الصيدليات او الحوانيت التي تبيع الادوية.¹

1- الطاعون:

شكل الطاعون أخطر مرض عانت منه كل الفئات الإجتماعية بالجزائر خلال العهد العثماني، كما تعرضت إلى ضرباته الحادة كل العناصر الاجنبية المقيمة بالبلاد لقد تكرر ظهوره في شكل تواتر حلقات متعاقبة مع الأوبئة المستوطنة بالمنطقة تسببت في إنهيار ديمغرافي وأدت إلى تدهور الوضع الصحي الذي اثر بدوره سلبا على اقتصاديات البلاد تاركا تشوهات خطيرة في البيئة الإجتماعية.²

لقد أثر وباء للطاعون على الأوضاع الصحية للجزائر العثمانية وارتبط بالعوامل الأخرى التي أثرت على الوضع الصحي للسكان مثل الإضطرابات الجوية والتدبدبات المناخية وفترات الجفاف والفيضانات بالإضافة إلى إجتياح الجراد وما نتج عنه من الزلازل والحرائق وما ترتب عنها من تخريب وتدمير ومما زاد الأحوال الصحية سوءا أن الحكام العثمانيين لم يهتموا بميدان الصحة ولم يعطوها الأهمية التي تستحقها فمن ذلك أنهم ولم يتخذوا أي إجراء وقائي ضد تنامي هذه الأمراض، أما أماكن العلاج فكانت محصورة حول بعض المصحات والملاجئ مثل زنقة الهواء وملجأ الأمراض العقلية المخصص للأتراك بالإضافة إلى مارستانات رجال الدين المسحيين التي كانت تنفق عليها الدول الأوروبية.³

وما يمكن ملاحظته أن الأوبئة كانت تتكرر كل عشرة أعوام أو خمسة عشر عاما وأنها في بعض الأحيان استمرت لبضع سنوات كما حدث خلال أعوام 1784-1798

¹ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال) ، المرجع السابق ، ص 174.

² فلة قشاعي موساوي، وباء الطاعون في الجزائر العثمانية ، مجلة دراسات إنسانية، كلية العلوم الإنسانية، عدد 1، 2001، ص 134.

³ محمد الصالح العنثري، فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها (تاريخ قسنطينة)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1991، ص 33.

كما منى القرن السابع عشر (17م) بانتشار الأوبئة في مختلف جهات البلاد مدة حوالي 39 سنة أما القرن الثامن عشر (18م) فقد ظهرت أثناءه الأوبئة [44] طيلة السنوات التالية: (1700-1728-1732-1738-1740-1744-1749-1784-1785-1786-1793-1794-1797-1798-1799).

كما اشتدت حدة الأمراض وعمت جميع أرجاء البلاد من 1804- إلى 1808 ومن 1818 إلى 1822. وكان الطاعون سنة 1740م، ودام ثلاث سنوات وقضى خلالها على 10000 نسمة، وكان يهلك في الشهر الأول ما بين 300 و 400 نسمة في اليوم.¹ كما أدى وباء 1786-1787م إلى هلاك 167211 نسمة بمدينة الجزائر فتناقص عدد سكانها إلى 50000 نسمة كما تسبب في موت ثلثي سكان مدينة عنابة. أما وباء عامي -1792 1798 فإنه أضر بجميع الجهات لاسيما وهران والجزائر وقسنطينة. وفي سنتي 1817-1818 انتشر الوباء في الجزائر وقضى على أكثر من 14000.²

وهكذا أصبح وباء الطاعون من مظاهر البيئة الجزائرية فتكرر ظهوره بها باستمرار وقد كان مرتبطا بحركة الأسطول الجزائري واحتكاكه الدائم بموانئ المشرق التي كان مصدرا لمختلف أوبئة الطاعون، حتى عدت الجزائر من مراكزه الدائمة وبيئاته المفضلة وهذا ما عبر عنه "دانيال بنزاك « Danyeil Panzac » "بقوله :وباء الطاعون من الظواهر المستمرة والدائمة في الجزائر العثمانية.

لقد أصبحت عدوى الطاعون تنتقل بسرعة في جميع جهات البلاد، ومسافة انتشاره قدرت بحوالي 200 إلى 400 كلم سنويا وقد يستغرق إنتقالها أحيانا أسابيع قليلة لإجتياح منطقة ما تبعا لشدته وللكتافة السكانية في المنطقة التي تتعرض له.³

¹ فلة قشاعي ،موساوي ،المرجع السابق، ص140.

² حمدان بن عثمان خوجة المرجع السابق ،ص 85.

³ محمد الصالح العنثري ، المرجع السابق ، ص46.

ومع بداية القرن السابع عشر (177م) تميز الطاعون بتواتره "للتكراري" إذ نعاقب بصورة مثيرة للدهشة، عانت خلالها إيالة الجزائر من إجتياح المرض أكثر من إيالة تونس التي تضررت هي الأخرى من جراء انتشار الأوبئة بنسبة 26 سنة معدية. بينما كان نصيب المغرب من الطاعون فترة لا تتجاوز 12 سنة.¹

أما في القرن الثامن عشر (188م) فقد تكرر وباء الطاعون وبلغ مجموع السنوات التي انتشر خلالها الطاعون أثناء هذا القرن 63 سنة في مدينة الجزائر وحدها وقد توزعت كما يلي:

-سنوات 1717-1718-1723-1730-1731-1732.

-سنوات 1738 إلى 1758، انتشرت إلى مناطق بعيدة كالقالة وعنابة قدرت نسبة الوفيات في مدينة الجزائر، سنة 1740 ما بين 200 و 400 وفاة يوميا.

-سنوات 1778 إلى 1804، انتشر وباء الطاعون في جميع الجهات وكان شديد الوطأة على السكان.

1805-1815 -، زاد في حدته حدوث المجاعات التي تعتبر أثارها الديمغرافية أخطر من بعض الحروب.²

لقد كانت أوبئة القرنين السابع عشر (17م) والثامن عشر (188م) أكثر حدة وشدة من التي إجتاحت الجزائر أثناء القرن السادس عشر (16م)، إذ تشير العديد من التقارير العسكرية والمراسلات القنصلية إلى إستمرار "الوباء الفتاك" أو "الوباء الخطير جدا" لفترات متعاقبة تناهز الواحدة منها 15 إلى 20 سنة وتعقبها عادة فترة خمود لا تتجاوز الست سنوات.³

¹ أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشرف الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص151.

² ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، المرجع السابق، ص559.

³ ناصر الدين سعيدوني، نظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830)، المرجع السابق، ص53.

2 - مرض الحمى :

كانت البلاد عرضة لمختلف انواع الحمى الناتجة عن الظروف الطبيعية احيانا وعن الظروف البشرية احيانا اخرى، حيث انتشرت حمى المستنقعات او الملاريا التي اتفق المؤرخون على ان سببها هو المياه العكرة في المستنقعات المحيطة بالأحياء السكنية وخير مثال على هذا الوضع منطقة متيجة ، فالمتفق عليه عند المؤرخين ان هواء هذه المنطقة مضر جدا في فصل الصيف بسبب المياه التي تتراكم خلال فصل الشتاء في المستنقعات، فتحمل الرياح الحمى الى الضواحي اذ نجد ان اخطر الوباء يصل إلى المناطق المواجهة للسهل المتيجي.¹

- انعكاس هذه الامراض على الجانب الاجتماعي :

لا ريب ان الاثار الاجتماعية للأوبئة والامراض تخلق في المجتمع واقعا حياتيا صعبا حيث كانت انعكاسات الوباء على الجوانب الاجتماعية سلبية، فإضافة الى آثاره على النمو الديمغرافي فإنه قد تسبب في تحولات جذرية في نمط حياة بعض القبائل، فاندثرت بعض الاسر والقبائل بأكملها، هذا اضافة الى تدهور الوضع الصحي حيث ان هذه الازمات تؤدي احيانا الى زعزعة العلاقات الاجتماعية وخلق شرخ كبير داخل المجتمع، فالأمراض المزمنة كانت تؤدي الى حدوث الطلاق بين الزوجين.²

كما طرح الوباء مشكلة الارث سواء على مستوى المدن والارياف، وهذا ما نفهمه من كلام حمدان بن عثمان خوجة الذي قال : " وفي زمن الطاعون كان لادارة بيت المال نشاط يفوق جميع الادارات الخرى، فهي التي تقوم بإحصاء الموتى وتعمل على تجنب الفوضى التي تتسبب فيها كثرة الوفيات، كما انها هي التي تتولى التركات المهمة وتقوم بعمليات الميراث".³

¹ ناصر الدين سعيدوني ، المرأة التركية الوراثية للتقاليد الوطنية والإسلامية ، المرجع السابق، ص 564.

² أرزقي شويتام ، المرجع السابق، ص 293.

³ ويليام شالر، المرجع السابق، نقلا عن أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، ص 102.

وقد اضطرت بعض قبائل جرجرة نتيجة الوباء الى اعادة النظر في قوانينها العرفية المتعلقة بقضية الميراث وأحسن دليل على ذلك ما حدث في احدى قرى بني يني عندما تعرضت منطقة القبائل للطاعون في عام 1818 م، فقد اجتمع سكان القرية ليعيدوا النظر في قوانينهم العرفية المتعلقة بمسألة الارث¹، واتفقوا بالإجماع على ما يلي: اذا توفي رجل ولم يترك الا البنات والاخوات والام والارملة، فكلهن يستفدن من ثلث تركة المرحوم، شريطة ان تبقى ارملة في بيت الزوجية، وتقوم النساء بتسيير تركتهن كما يشأن اما اذا حدث ان احدى النساء المذكورات قد قدر لها ان تزوجت وارتحلت الى قرية اخرى، فلا يسمح لها بأن تأخذ شيئاً من التركة الى بيت زوجها.²

ولقد خلقت الاوبئة والامراض آثار نفسية حادة في نفوس افراد المجتمع، منها الرهبة والاشمئزاز من بعض هذه الامراض خصوصا منها مرض الجذام، فلا ريب في ان المرضى بالجذام لا يحيون حياة عادية نظرا لاشمئزاز الناس منهم.³ ومن هذا نستنتج أن تركيبة السكان قسمت إلى نصفين:

- الحضر : الذين كانوا يتشكلون من فئات عديدة محلية ذات أصول أمازيغية

وعربية (البلدية، البرانية، الأندلسيين ، السودانيين).

- سكان الريف : كانوا يشكلون نسبة كبيرة في تركيبة السكان أما مستواهم

الإجتماعي فكان أقل من المدن .

¹ عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1 ، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر ، 1972، ص 273.

² أبوا العبد دودو، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1974 ، ص 26.

³ عبد القادر حليمي ،المرجع السابق، ص 275.

- أما بالنسبة للوضع الديموغرافي فقد كان واضحا إرتفاع عدد السكان في القرنين 16 و 17 م ثم تراجع في القرنين 18 و 19 م.
- وللوضع الصحي أهمية من الناحية الديمغرافية فقد كان تأثيره واضحا بإنتشار الأوبئة والأمراض التي ساهمت في تراجع عدد السكان.

تمهيد :

لقد إرتكز إقتصاد الجزائر بصفة عامة على جملة من العناصر الأساسية، وهي الزراعة والحرف التقليدية والثروة الحيوانية والتجارة الداخلية والخارجية والخدمات العامة، وأن تقدم أي دولة يجب توفر لهاته العناصر والتحكم فيها قصد تحسن مستوى معيشة السكان نظرا إنعكاساتها المباشرة على القدرة الشرائية، ومن خلال هذا المنطلق، كان نشاط المجتمع الجزائري في المجال الإقتصادي خلال العهد العثماني ومدى فاعليته في مختلف الجوانب موضوع البحث في هذا الفصل بغية التعرف على تلك النشاطات.

المبحث الأول : نشاط المجتمع الجزائري في المجال الفلاحي .

لقد تأثرت الحالة الاقتصادية على الجوانب السياسية والإدارية والاجتماعية في أواخر العهد العثماني نظرا لأهمية هذا المجال حيث ارتكز الاقتصاد بصفة عامة على جملة من العناصر الأساسية هي الزراعة والثروة الحيوانية والصناعة التقليدية والتحويلية والتجارة الداخلية والخارجية والخدمات العمدة وأخيرا الموارد المالية التي تشترك فيها كل هاته القطاعات وانطلاقا من هذا المفهوم كان نشاط المجتمع الجزائري في المجال الاقتصادي وفعالياته في مختلف جوانبه موضوع البحث في هذا الباب بغية التعرف على ذلك النشاط وتلك الفعاليات وانعكاساتها على مستوى معيشة السكان بمختلف شرائحهم¹.

كان اقتصاد الجزائر يعتمد أساسا عن الزراعة لهذا فان معظم السكان كانوا يقطنون في الأرياف حيث أن معيشتهم كانت تعتمد على الزراعة وتربية الحيوانات وقد

¹ ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المرجع السابق ، ص 49 .

ساعدتهم على ذلك اتساع رقعة الأراضي الزراعية وخصوبة التربة واعتدال المناخ كما أن تنوع التضاريس قد أدى إلى تنوع الغطاء النباتي والمحاصيل الزراعية.¹

إن النشاط الزراعي الذي تميز باستغلال الظروف الطبيعية الملائمة بإنتاج مختلف المنتجات الزراعية والحيوانية مثل إنتاج الحبوب والخضر والفواكه ولأخشاب والأصواف والجلود والشموع والزيوت والقطن والتبغ والكتان الخ حيث أن نشاط المجتمع الجزائري تحدده طبيعة تضاريس البلاد التي يمكن تقسيمها من الشمال إلى الجنوب إلى ثلاث مناطق متباينة هي:²

1/- المنطقة الشمالية :

تنتشر فيها السهول الشاسعة نسبيا والضيقة المنحصرة بين الجبال والبحر والأحواض مثل حوضي سبا والصومام في منطقة القبائل وتتميز هذه المنطقة بوفرة المياه إذ تتلقى كمية معتبرة من الأمطار وتجري بها الأنهار والأودية والينابيع مما جعل تربتها خصبة وهي في بعض الجهات سوداء وفي جهات أخرى حمراء ولكنها في جميع الحالات خصبة .

2/- منطقة الهضاب العليا أو الوسطى:

تتميز أراضيها بالارتفاع النسبي وتقع بين سلسلتين جبليتين الأطلس التلي والأطلس الصحراوي تغطيها أعشاب قصيرة وتتلقى كمية متوسطة من الأمطار فهي تعد منطقة رعوية بالدرجة الأولى إلا أنها تساهم بقسط وافر في إنتاج الحبوب.³

¹ وليام شالر ، المرجع السابق، ص 29 .

² صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من للعهد الفينيقي الى خروج الفرنسيين ، دار العلوم عنابة ، 2002، ص 153 .

³ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792 - 1830 ، الشركة الوطنية النشر الجزائر ، نص 58.

3/- المنطقة الجنوبية أو الصحراوية :

هي أكثر المناطق مساحة أرضيها قاحلة تغطيها الكثبان الرملية إلا أنها تنتشر بها واحات خضراء مغروسة بالنخيل ويعتمد سكانها الذين يعتبرون حلقة وصل بين المنطقة التلية وإفريقية جنوب الصحراء على التجارة.¹

أما منطقة الشرق (قسنطينة) التي تميزت بزراعة الأشجار المثمرة حيث كان يمارسها هذا النشاط حول أحواض الأودية بالإضافة إلى زراعة الخضر وخاصة بمنطقة الحامة بالإضافة إلى المناطق الساحلية للبايلك وجنوبه كما كانت حرفة الرعي أكثر انتشار إذ يمارسها السكان بشكل واسع حيث كان إنتاجها كبيرا وتجاوز عند رؤوس الماشية عدد السكان لكن الإنتاج تراجع وتأثر بالأحداث الداخلية والحملات العسكرية ضد القبائل ومصادرة مواشيها.²

وعند التحدث عن النشاط الفلاحي للمجتمع الجزائري وأنواع المحاصيل الزراعية التي كان ينتجها لابد أن نحدد أولا طبيعة ملكية الأراضي الزراعية،³ وأنواعها وطرق استغلالها باعتبار العامل الأساسي في العملية الإنتاجية وفي تحديد العلاقات العامة السائدة بين الإدارة والمجتمع من جهة وبين أفراد المجتمع فيما بينهم من جهة أخرى. كانت ملكية الأراضي الزراعية في الجزائر خلال العهد العثماني تنقسم إلى عدة أنواع منها:

ملكية البايك :

كانت معظم الأراضي الخصبة الواقعة في ضواحي المدن والسهول التلية حيث انتشار التجمعات السكانية تابعة للبايلك الذي كان يستغلها بنفسه أو بمساعدة القبائل المخزنية أو

¹ ناصر الدين سعيدوني و المهدي بوعبد لي ، المرجع السابق ، ص 54 .

² - محمد فركوس ، الحاج أحمد باي قسنطينة، المرجع السابق، ص 37

³ بوعزيز ، موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، ن ط 1 ، دار الهدى الجزائر ، 2009 ، ص 517 .

ما يعرف بنظام الخماسة والتوزيع وكان البايلك في هذا النوع من الاستغلال يوفر وسائل الإنتاج المتمثلة في المحراث والحيوانات والبذور.¹

أما النوع الثاني من الأراضي فهو المعروف بالعزلية التي حصل عليها البايلك بالمصادرة فكان يستأجرها الخواص أو يقتطعها لبعض الموظفين الإداريين والمرابطين مقابل الخدمات التي قدموها للسلطة وكان يفرض على هذا النوع من الأراضي رسوم الحكر الذي قدر في بايلك قسنطينة وفي أواخر العهد العثماني بخمسة وثلاثين فرنكا للمحراث الواحد بالنسبة للخواص أما أعوان الإدارة فكانوا يدفعون نصف المبلغ في حيث تم تحديد ضريبة العشور بصاع واحد من القمح وآخر من الشعير وشبكة من التين وهي مفروضة على الجميع دون تمييز.²

أراضي الوقف :

وهي تابعة للمؤسسات الدينية الساجد والزوايا والحرمين الشريفين مكة والمدينة كان يتولى أمرها الوكيل تحت إشراف الناظر.

الملكية الخاصة:

كان هذا النوع من الملكية منتشرا في المناطق الجبلية مثل: منطقة القبائل والاوراس كما أن هنالك بعض الحضر الذين يملكون بعض الأجنة والاحواش بضواحي المدن التي كانوا يستغلونها بواسطة الخماسين الذين قال في شأنهم حمدان بن عثمان خوجة " إن المالكين أو أصحاب المزارع يستخدمون العمال والرعاة وليس لهؤلاء أرض ولا أموال ولا مواشي وإنما تعطى لهم السيقات حسب حاجاتهم... وقبل تسليم الخمس لهؤلاء العمال وذلك عادة،³ أثناء جمع المحاصيل فان قائد الدوار يخصم ما عليهم من ديون وتسيقات ولا يعطي لهم إلا ما تبقى وعلى اثر التقسيم يذهب العامل إلى السوق لبيع محصولاته وبما

¹ حمدان بن عثمان خوجة ، المرجع السابق ، ص 123 .

² صالح فركوس ، المرجع السابق ، ص 123 .

³ أرزقي شويتام ، المرجع السابق ، ص 240 .

أن الغل تجمع في نفس الوقت تقريبا فان الحبوب تكون رخيصة في فترة معينة من العام بينما تكون الأسعار ثابتة عندما يقوم الأغنياء بتمويل الأسواق¹. إضافة إلى ملكية العرش ويشترك فيها كل أفراد القبيلة.

إن تنوع التضاريس والمناخ وخصوبة التربة ساعد على وفرة كل أنواع المحاصيل الزراعية فكانت كل منطقة مختصة في إنتاج أنواع معينة من المحاصيل الزراعية فكانت كمية كبيرة من القمح تنتجها سهول قسنطينة ومتيجة وعنابة ومعسكر والتيطري إلا أن أجوده كان ينتج في منطقة تلمسان وقد ذكرت المصادر أن القمح الجزائري كان ممتاز ينافس محاصيل الدول الأجنبية في الأسواق العالمية²، ويؤكد القنصل الأمريكي في الجزائر السيد شالر scaler³.

ذلك بقوله وهذا القمح مشهور في الأسواق الإيطالية ويفضله التجار على جميع أنواع القمح الأخرى بسبب جودته لذلك اعتنى المجتمع الجزائري عامة بزراعة الحبوب لكونها أساس معيشته فلا نجد منطقة في السهول والجبال تخلو من زراعة الحبوب فكانت كل السهول الممتدة من تلمسان غربا إلى عنابة شرقا مرورا بسهول وهران ومعسكر والشلف ومليانة ومتيجة وسطيف وقسنطينة تنتشر فيها زراعة القمح والشعير .

كما أن انتشرت زراعة الأرز في مليانة في الغرب الجزائري وعلى ما يبدو أنه كان كافيا للاستهلاك المحلي وعلاوة على هذه المحاصيل فإن البلاد كانت تنتج الكتان في البليدة والتبغ في ضواحي عنابة ومدينة الجزائر الذي قال في شأنه القنصل الفرنسي في الجزائر السيد تانفيل D.Thainville مهما كانت المرتفعات التي تتخلل أراضي الجزائر

¹ناصر الدين سعيدوني ،، ملكية الأراضي بالجزائر أواخر العهد العثماني وتأثيرها على البنية الاجتماعية بالريف ، أعمال ملتقى الثالث لتاريخ وصفاة المغرب، ط1 ، د.م.ج-الجزائر 1983، 218.

²يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، ط1 ،،ن دار الهدى الجزائر ، 2009 ، ص517.

3- وليام شالر، المرجع السابق، ص 30.

فإنها منتجة وقد جربت شخصيا زراعة القطن بضواحي مدينة الجزائر فكانت النتيجة جيدة.

وكان الخضر والفواكه من إنتاج الفلاح الجزائري،¹ وكان هاته الزراعة في البساتين والضيعات الواقعة خارج المدن وأيضا في المناطق الجبلية مثل منطقة القبائل والاوراس ومليانة والأطلس البلدي وقد استغلت الأراضي الجبلية بشكل مكثف نظرا لقلة المساحة الصالحة للزراعة إلا أن الفلاح الجزائري كان يزرع بعض الحبوب لاستهلاكه الشخصي مثل الحمص والعدس والذرة والشعير.²

الثروة الحيوانية :

اهتم المجتمع الجزائري عامة بتربية الحيوانات إلا أن عددها كان يختلف من منطقة إلى أخرى فكانت الأغنام والجمال مثلا منتشرة بكثرة في منطقة الهضاب العليا ومشارف الصحراء حيث شساعة،³ المراعي بينما المنطقة الجبلية كانت مخصصة في تربية الأبقار أما الماعز والخيول والبغال فإننا نكاد نجدها عند كل القبائل إلا أن هناك من أولى اهتماما خاصا بتربية الخيول وهذا مالا حظه حمدان بن عثمان خوجة الذي قال عن سكان السهول ما يلي "هؤلاء السكان يحبون الخيل حبا جنونيا ولا يفكرون إلا في مضاعفة أعدادها وهم يفرقون بين أنواعها".

المبحث الثاني: نشاط المجتمع الجزائري في المجال الحرفي.

¹ المنور مروش ، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني الأسعار و المداخل ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، 2009 ، ص 96.

² PAR ESQUER , MEMOIRE DUR ALGER EN 1809.PORD .THAINVILLE PUB -. LIB CHAMPION . PARIS 1927. P. 144.

³ ناصر الدين سعيدوني ، ملكية الأراضي بالجزائر أواخر العهد العثماني وتأثيرها عل البنية الاجتماعية بالريف، المرجع السابق، ص 218.

أما النشاط الحرفي فقد ظل متواضعا بالإيالة الجزائرية لا يتعدى الصناعات المحلية اليدوية وبعض الصناعات المعدنية والتحويلية البسيطة¹ وكان النشاط الصناعي يشمل أغلب المهن التقليدية والحرف اليدوية وقد حاول العثمانيون قدر المستطاع تشجيع الحرف والصنائع الجميلة بتجميع محترفيها فجعلوا لكل حرفة أمينا يمثل الهيكل الإداري والتنظيمي للحرفيين والمنتجين² ومن الناحية الاجتماعية كان النشاط الحرفي يشهد تمايزا اجتماعيا يستند في أغلبه إلى العامل العرقي فكل حرفة كانت خاضعة لجماعة عرقية³ وكانت هناك مدن صناعية كبرى كالجزائر وقسنطينة حيث كانت تضم العديد من الصناعات التي يحق لنا وصفها بالتنوع والاتقان والتنظيم⁴.

- ولقد عرف المجمع الجزائري في العهد العثماني الحرف التقليدية التي تستمد خامتها الأولية في أساسها من الانتاج الزراعي والحيواني وكان الجزء من الإنتاج يستهلك محليا ويصدر⁵ الفائض إلى الخارج ولم تقتصر الحرف على الرجال فقط بل كانت المرأة تساهم بقسط وافر من إنتاج بعض المصنوعات مثل الحرفة النسيجية والفخارية.

كانت الجزائر في العهد العثماني تحتوي على عدة حواضر بفعل السياسة التي اتبعتها الحكام الأوائل بفعل نشاطهم في المجال البحري مما ساعد على إدخال عدد كبير من الأندلسيين إلى الجزائر مما زاد عدد الحرفيون بسبب هجرة الأندلسيين حيث نقلوا مهاراتهم ومهنتهم إلى حواضر جزائرية وغيرها وكانت بعض الأسر تتخذ من حرفها مصدرا لرزقها فتسوق جزء من إنتاجها مثل الزرابي والحياك والبرانس والأدوات الحديدية والأواني الفخارية والخشبية أما في المدن فكانت الحرف منظمة فهي تتجز في ورشات من طرف

¹ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في الجزائر، في الفترة العثمانية، 1800 - 1830، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979، ص 34.

² فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي، البايات، منشورات ميديا بليس، قسنطينة، 2005، ص 276.

³ نور الدين زمام، السلطة الحاكمة والخيارات التنموية بالمجتمع الجزائري، دار الكتاب العربي (د.م.ن) 2002، ص 25.

⁴ ناصر دين سعيدوني، والمهدي بوعبدلي، مرجع سابق، ص 61.

⁵ فاطمة الزهراء قشي، المرجع السابق، ص 76.

عمال منظمين في نقابات مهنية وعلى رأس كل حرفة أمين يتولى تنظيم الأمور الحرفية ومراقبة الإنتاج وكان الإنتاج في المدن مخصصا لأغراض تجارية بحتة وعرفت الجزائر ازدهارا في الفترة الأولى من الحكم العثماني وإقبال السكان على العمل والإنتاج وأصبحت الجزائر تلقب بلقب اسطنبول الصغرى بجدارة وذلك لتصديرها الإنتاج الحرفي إلى الأقطار المجاورة كتونس والمغرب الأقصى وذلك لنشاط حركة المبادلات ومن بين أهم العوامل التي أدت إلى تطور الحرف والمهن هي¹:

1-توفير المواد الأولية :

تم تطوير بالمواد الأولية الاستراتيجية حيث كان يستخرج الحديد من جبال تلمسان وبجاية والزنك من جبل الونشريس² وكانت تستغل في البنادق وأدوات فلاحيه ويستخرجون منها معدن الرصاص لاستخدامه في الحروب والصيد واستعمال النحاس في صناعة الحلي للنساء فكان يذوب مع الزنك ويشكل مادة قوية وصلبة من أجل بعض الصناعات كتغليف البارود وصنع قبضات الخناجر³.

2-الأمن والاستقرار وقلة الكوارث الطبيعية :

بتوفير الهدوء والاستقرار وقلة الحروب ساهمت في ارتفاع عدد السكان بالحوضر والأرياف فدفعت بعجلة التبادل التجاري الذي تنشط من خلاله هذه الحرف وكذا قلة الكوارث الطبيعية والأوبئة لذلك قدمت تلك الحرف والمهن خدمات إلى سكان الحواضر والأرياف وكذا السلطة المركزية ومن أهم الصناعات الجزائرية في الجزائر خلال العهد العثماني نجد ما يلي :

-الصناعة النسيجية :

¹ صالح عابد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، دار هومة، الجزائر، 2011، ص 339.

² محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 2000، ص 24.

³ علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 09.

عرفت هذه الصناعة تطورا ملحوظ نظرا لوفرة المواد الخام مثل الصوف والحرير والكتان فقد كانت المدن والقرى تنسج الزرابي والحياك والبرانس والأغطية والشواشي إلا أن أجود الزرابي كانت تنسج في قلعة بني راشد ومن بين أهم صناعات الصوفية نجد¹.

-البرنوس:

وهو نوع من المعاطف له شكل دائري يلصق في وسطه قلمون وهو وسيلة للوقاية من المطر وهو يتسم بالأناقة والبساطة.

-الحايك :

ويصنع كذلك من الصوف وهو لباس لنساء داخل الجزائر يستعمله النساء عند خروجهن من منازلهم ويغطي به كامل الجسم وكان أجملها الذي يصنع في قسنطينة.

-الشاشية:

وهي حمراء اللون راج صنعها في بداية العهد العثماني في مدينة الجزائر وقد وجدت هذه الصناعة منافسة خارجية كبيرة ما شهدت تراجعا في الفترة الاخيرة من الحكم العثماني وذلك تقليدا بعض البلدان الاوربية لهذه الصناعة .

-السرمة:

وهو لباس عند المرأة الجزائرية يصنع من الذهب أو الفضة وقد وفرت الصناعات الصوفية والنسيجية مداخل معتبرة لبعض المناطق مثل غرداية².

الصناعة الجلدية :

كان بالمدن الجزائرية مدابغ لمعالجة الجلود وقد عرفت انتشارا واسعا وقد قال عنها القنصل الامريكي في الجزائر السيد شالر SHALER وصناعة اعداد الجلود المدبوغة

¹ محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 72.

² ناصر الدين سعيدوني، والمهدي بوعبدلي، مرجع سابق، ص 68-69.

والمصنوعة على الطريق المغربية تبدو في هذا البلد قريبة من درجة الكمال وهذا راجع الى توفر الثروة الحيوانية من أغنام وأبقار ومعز¹.

الصناعة المعدنية :

لقد أدى انتشار الصناعة المعدنية دليل على وجود مناجم في البلاد لاستخراج المادة الأولية وقد ذكرت المصادر أن هناك مناجم من جبل زكار وبجاية كان سكان بجاية يستخرجون الرصاص و النحاس والحديد ويصنعون من هذه المواد الذخيرة والحلي والسكاكين والسيوف والادوات الفلاحية².

الصناعة الفخارية :

تعد هذه الصناعة من أقدم الصناعات التي عرفها المجتمع الجزائري وذلك لأهميتها الاجتماعية والاقتصادية وكان معظم المدن والقرى تصنع الأواني الفخارية للاستعمالات اليومية وقد اختص بها سكان شرشال الذين كانوا يصنعون أنواعا مختلفة من الجرار vages و الأدوات المنزلية وعرفوا صناعة جديدة من الخزف المعروف بالزليج الذي استعمل في تغطية المنازل ومداخل البناءات³.

الصناعة الخشبية :

مارس المجتمع الجزائري الصناعة الخشبية وكنت هذه الصناعة أكثر تطورا في المدن حيث هناك عدد من النجارين والخراطين الذين كانوا يصنعون الاثاث المنزلية والصناديق الملونة والخزائن والنوافذ والأبواب حيث كانوا سكان جبال الشرق الجزائري يستغلون الغابات⁴.

¹ مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج 3 ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، د.ت، ص 316.

² علي عبد القادر حليمي، مرجع سابق ، ص 111.

³ المنور مروش، مرجع سابق، ص 335.

⁴ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 153.

بناء السفن :

نتيجة توفر الموانئ والمراسي التي كانت مواقع طبيعية لإقامة دور لبناء السفن التي كان لها دور كبير في دخل الجزائر كما أن هذه المادة كان يستخرج منها الفحم مثل قبيلة بني قايد benikaid غرب جيجل كما كانت توجه الأخشاب الى عملية انجاز العمارات. وكانت كل مهنة تختص بشارع أو سوق ينسب اليها فعلى سبيل المثال نذكر بعض الأسواق والشوارع التي تركزت فيها الحرف.¹

-سوق الحديد، سوق الحريرية ، سوق اللوح، سوق الشقماقية ،"صانعي البنادق" سوق السمارين، سوق العطارين ، سوق الفضة، سوق الخبازين، سوق النجارين، زنقة المسايسية "الأسوار" زنقة الذوادة" الخيوط المذهبة" زنقة البشامقية" نوع من الأحذية" زنقة الخراطين" زنقة البلاغجية...الخ. حيث كان الحرفيون مكونين عددا من الهيئات التي كانت تنظم حسب الحرف التي تشتمل عليها والتي لم يزل معظمها قائما حتى الآن نذكر ما يلي.²

-النجارون ومهمتهم صناعة الصناديق والأبواب والنوافذ وغيرها من المنتجات الخشبية أما المواد الأولية فيستوردونها من غابات الأوراس .

-الحدادون ويتولون صناعة المحارث والمناجل والقواويم والألجمة وركاب الخيل وما الى ذلك مما يكثر استعماله في المنطقة.

-الصفارون: وهم الذين يصنعون الأواني النحاسية ويقومون بنقشها وإصلاحها .

-الشقماقية:ومهمتهم صناعة الأسلحة وإصلاحها عند الكسرويلحق بهذه الهيئة جمعية السرارين أي الذين ينحتون الأجزاء الخشبية من البنادق والسيوف خاصة.

-الجلابون: وهم المختصون في تربية المواشي وتسويقها.

1- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، (د.ت)، ص

2- عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 106.

-الحواكون: ويتولون صناعة الملابس الصوفية والقطنية وحياسة الزرابي والخيم والأغطية... الخ .

-الفخاريون: ويقومون بصناعة الأدوات الفخارية وهي صناعة بالغة الأهمية لأن جميع الأواني المستعملة في ذلك الحين كانت من الفخار أو من الخشب وهناك أيضا في قسنطينة جمعيات مهنية أخرى وأهمها (جمعيات البنائين والبياضين والزواقين والكواشين والجزارين و الصوفية والدخاينية والقهواجية والدالين والكنافين والحفافين والصياغين والغرابيلية والخياطين.....¹ الخ .

وما يمكن استخلاصه أن المجتمع الجزائري قد مارس عدة مهن وحرف وصناعات حتى أنها كانت تصدر منها إلى الخارج وفي بعض الأحيان تتنافس الدول الأوروبية في إنتاجها حيث كانت تلبي حاجيات السكان داخل المدينة.

وقد تعود أسباب عدم تطور الصناعة وازدهارها إلى احتفاظها بطابعها التقليدي وعدم محاولة تطوير وسائل الإنتاجية، كما تعود أيضا إلى المنافسة الأوروبية في الصناعة التي دخلت مبكرا طور الإنتاج الآلي مما يجعل أسعارها منخفضة وإلى دور الدولة الذي لم يشجع على التطور.

المبحث الثالث : نشاط المجتمع الجزائري في المجال التجاري

تعتبر التجارة المحرك الأساسي للاقتصاد في أي دولة من دول العالم والمؤشر الحقيقي للتوازن الاقتصادي الذي ينشط من خلاله المجال الزراعي والصناعي ويضمن استمرارية تدفق الأموال بين أيدي الناس سواء في الماضي أو الحاضر والتجارة هي إحدى القنوات الرئيسية التي تنتقل من خلالها الأموال والمعارف والتأثيرات المختلفة بين المجتمعات كما أنها تساعد على تطوير المنشآت القاعدية في المدن والأرياف مثل المحلات والموصلات.²

¹ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4 ، دار الأمة، الجزائر ، 2009 ، ص 107.

² ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص 141.

عرفت التجارة للمجتمع الجزائري في العهد الأول من الحكم العثماني ازدهار جعل الرحالة يشيدون به ومنهم التمعروني الذي قال عن مدينة الجزائر في هذه الفترة ما يلي* وهي عامرة كثيرة الأسواق.... فبلادهم لذلك أفضل من جميع بلاد افريقية وأعمرو وأكثر تجارا وفضلا وأجود سلعة ومتاعا حتى أنهم يسمونها اسطنبول أصغرى فكان وصول الجزائر إلى ما وصلت إليه من هذه الفترة من نشاط في الحياة التجارية وخاصة الداخلية بفضل¹.
-الاستقرار والأمن: الذي عرفته الجزائر بدخول العثمانيين خصوصا بعد أبعاد الخطر الأجنبي عن المنطقة وبسط نفوذها من خلال وضع الحاميات ما جعل البلاد تستقر مما جعل الفلاح يهتم بأرضه والحرفي بمهنته وقد وصف حسن الوزان بحاضرة معسكر التي كان يعقد بها سوقا كل خميس تباع فيه الماشية والحبوب والزيت والعسل.....والخيال والسروج وحاجات الخيل وفي عناية السوق يعقد في كل يوم جمعة خارج أسوار المدينة ويستمر إلى المساء وفي قسنطينة كانت تعقد أسواق تجارية تباع فيها الحيوانات والحبوب والصوف².

-وفرة المحاصيل الفلاحية :

لقد أدى تنشيط التجارة إلى كثرة المحاصيل الفلاحية والثروة الحيوانية إلى جانب الخضر والفواكه والزيت والعسل زفي سنوات الخصب يصدر من هذه المنتجات نحو الخارج إلى تونس وطرابلس واسطنبول وأيضا الدول الأوربية الأخرى ومنها فرنسا وإيطاليا³.

وكانت الحرف التي ظهرت في الحواضر بالأسواق تحت طراز معين من الدكاكين الموصوفة والأزقة المتقابلة لتتطور إلى أسواق متخصصة تسمى حسب نوع النشاط أو الحرفة السائدة فيها فأسواق مدينة الجزائر كانت عديدة ومقسمة إلى أقسام منها رحبة الزيت.رحبة الجلد....الخ.

¹التمقروني ، المرجع السابق ، ص 139.

²الطبي أمين ، لمحة عن الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط (إيالة الجزائر) في القرن العاشر هجري و 16 م من خلال رحلتي الحسن بن محمد الوزان وعلي بن محمد التمعروني ، ص 486.

³ عبد الحميد ابن شنهو ، حول دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، (د.و.ن)،الجزائر، 1872 ص 92.

وفي حاضرة قسنطينة مارس سكانها التجارة وتعاملوا مع حواضر السواحل وتونس فأضحت أسواق الحواضر يتوافد إليها الناس من شتى الأقاليم للتزود بالمواد الغذائية والبضائع المختلفة مثل أهل زواوة وأهل الأوراس وأهل الصحراء.¹

وكانت التجارة في الجزائر تنقسم إلى نوعين هما التجارة الداخلية والتجارة الخارجية.

1- التجارة الداخلية:

لقد اعتمدت التجارة في الجزائر أساسا على الفلاحة والحرف المهنية مستعملة السيولة النقدية والمقايضة في أحيان أخرى فأصبحت المدن الجزائرية مراكز تجارية مهمة يأتيها الأهالي من مختلف الجهات لشراء حاجاتهم الضرورية وبيع إنتاجهم الزراعي والحرفي وقد خلق هذا نوعا من الترابط بين المدن والأرياف وكانت تتم التجارة الداخلية للمنطقة في أسواق محلية أو جهوية وفي الحوانيت وكان ارتباط الحركة التجارية في الجزائر بحركة القوافل القادمة من مختلف المناطق كجرجرة أو من الجنوب وأنحاء أخرى من الجزائر المحملة بسلع مختلفة نباتية وحيوانية .

وإذا أخذنا مدينة الجزائر نموذجا فان المصادر ذكرت أن الشارع الرئيسي الممتد من باب عزون إلى باب الوادي كان عامر بعدد لا يحصى من الحوانيت التجارية التي كان أصحابها يبيعون فيها السلع المختلفة،² وكانت كل فئة اجتماعية متخصصة في بيع سلعة معينة فكان الأهالي يبيعون مثلا المواد الغذائية أما اليهود فكانوا يبيعون المجوهرات مما يدل على ازدهار التجارة وكثرة التجار الوافدين على مدينة الجزائر والعدد الكبير من المقاهي وقد قدر عددها في بداية الاحتلال الفرنسي بستين مقهى كما كان يوجد عدد من المخازن لتخزين السلع المستوردة وأيضا عدد من الفنادق وكان هذا التنظيم التجاري سائدا في كل المدن الجزائرية .³

كما كانت توجد بعض المرافق التجارية الموجودة في مدينة الجزائر والتي تعود إلى العهد العثماني وكلها عقارات محبسه لفائدة المؤسسات الدينية والحرمين الشريفين والمدينة حيث

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 23 .

² محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية في الشرق الجزائري في نهاية العهد العثماني، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1972، ص 99.

³ عبد القدر حلمي، المرجع السابق ، ص 312.

كان الريف الممول الرئيسي للمدن،¹ فكانت القبائل تأتي بإنتاجها إلى أسواق المدن لتتم فيها المبادلات التجارية .

وكما خصص للفلاحين والقوافل أماكن لعرض سلعهم فكانت رحبة الزرع في مدينة الجزائر خارج باب عزون وكان هو المكان المخصص التي تلتقي فيه القوافل التجارية القادمة من مختلف أنحاء البلاد وأيضا هي المحطة التي تنطلق منها القوافل إلى الخارج وكان هناك بعض الباعة اليهود المتجولين الذين ينتقلون بسلهم في أحياء المدينة لعرض سلعهم على ربات البيوت ومنهم من ينتقل إلى المدن مثل قسنطينة وعنابة ووهران وتلمسان ومزارعو الأرياف كانوا يقصدون المدينة لبيع إنتاجهم المتمثل في الحضر والفواكه والأعشاب والدواجن .

-وقد كانت أسواق أسبوعية تعقد في مختلف المناطق التلية،² وذلك نظرا لأهميتها الاقتصادية والسياسية حيث أن الأسواق من إحدى الوسائل الناجحة التي إعتمدها النظام لإخضاع بعض القبائل التي اعتمدها النظام لإخضاع بعض القبائل واخذ الضرائب منها وكان الغرض منها جذب القبائل الصحراوية إلى الأسواق التلية وكانت أهم تلك الأسواق موزعة كما يلي:

- دار السلطان: كان السوق فيها في يوم من الأيام الأسبوع
-بايلك التيطري:يقام فيها عدة أسواق منها العداورة وأولاد مختار وأولاد عنان وأهمها سوق الربيع.

- بايلك قسنطينة : سوق أولاد عبد النور وتلازمة أهمها سوق وادي العثمانية السنوية بالقرب من قسنطينة.

- بايلك الغرب: يوجد بها عدة أسواق منها أولاد عياد وأولاد الأكراد بالشلف وأولاد الشريف إلا أن أهمها سوق اللوحة بالقرب من تيارت ومنطقة القبائل اشتهرت بعدد أسواقها منها خمسة وخمسون في القبائل الغربية وحدها واهم الأسواق بها هي التي انشاها القائد علي خوجة في حدود سنة 1133هـ/1720م وكانت تتردد على السوقين القبائل الخاضعة

¹ أبو العبد دودو، الجزائر في مؤلفات الراحلين الألمان، (1835.1830) ، المؤسسة الوطنية للكاتب ، الجزائر ، 1989 ، ص 110.

² ناصر الدين سعيدي، النظام المالي في الجزائر، المرجع السابق، ص 38.

للإدارة العثمانية اما قبائل جرجرة الممتنعة فكانت ترسل مفاوضين الى مدينة الجزائر قصد الحصول من الآغا على رخصة التنقل الى الأسواق، وذلك بعد دفعهم غرامة مالية وكانت القبائل تنظم قوافل جماعية لنقل انتاجها من الزيت والتين الى عنابة وقسنطينة وكانت تعود محملة بالحبوب والمواشي وكانت منطقة القبائل الشرقية اكبر سوق للمبادلات التجارية كانت تقام في بني عباس وتلتقي فيها القبائل الشمالية والجنوبية¹.

وكان اهل وتجار بوسعادة يقصدون لشراء الزيت وكانت تقام تجارة موسمية تقوم بها القبائل الصحراوية، وكانت تتوافد على الأسواق التالية وعند عودتها الى موطنها تأخذ معها الصوف والحبوب والأغنام والزبدة.²

وكانت هذه المبادلات تتم في موسم الحصاد وذلك لانخفاض الأسعار وما يمكن أن نتوصل اليه من هذه التجارة الداخلية هو:

ان التجارة في جميع أشكالها كانت تتم تحت رقابة الإدارة، والتي حققت أهداف أساسية ومنها إثراء خزانة الدولة بمختلف الضرائب والرسوم، وأيضا انتشار الأسواق عبر مختلف الجهات من الجزائر وسهولة انتقال الأشخاص والقوافل من منطقة إلى أخرى وتشجيع الإدارة على مد نفوذها إلى المناطق الداخلية، مما استلزم إنشاء الحاميات العسكرية بها وأيضا قامت التجارة بتجنيد الأعوان الإداريين والعسكريين لخدمة مصالحها وضمان الطرقات، وقد ساهمت كثرة الأسواق في فك العزلة عن بعض القبائل الجبلية والصحراوية، من اجل تسويق المنتج وشراء مختلف الاحتياجات وأيضا حدوث نوع من التقارب بين القبائل المختلفة، وقد ساهمت التجارة بشكل كبير في ازدهار المدن والأرياف في مختلف مجالات الحياة سواء اقتصادية واجتماعية والعمرانية، وقد كانت لهاته التجارة انعكاس ايجابي على مستوى معيشة المجتمع الجزائري.³

¹ أرزقي شويتم ، المرجع السابق، ص 23.

² عبد الحميد ابن اشنهو ، المرجع السابق، ص 92.

³ أبو القاسم سعد الله ، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، داعية السلفية، ص 23، ط 1 دار الغرب الإسلامي، بيروت

2- التجارة الخارجية:

إن التجارة الجزائرية لم تكن مقصورة على المستوى الداخلي بل امتدت الى ما وراء الحدود وقد تحكمت فيها نوعية العلاقات الخارجية فازدهرت تارة وركدت تارة اخرى وقد عملت فرنسا على ضمان استمرارية التعامل مع الجزائر.¹

اما دول الشرق فلم تنشط التجارة الجزائرية إلا في بداية القرن 19م وذلك لتوتر العلاقات بين الجزائر ودول اوروبا، وقد اختلفت المصادر حول تحديد حجم التجارة الجزائرية الخارجية، وقد قال فالير في القرن 12هـ/18م الذي حاول من تقليل شان امكانيات الجزائر الاقتصادية حيث قال " إن الجزائر لا تملك المصنوعات التي تمكنها من التصدير والقيام بالمبادلات التجارية مع الدول الأخرى" ومن خلال هذا المنطلق يمكننا تصنيف التجارة الجزائرية مع العالم الخارجي الى مبادلات ومنها:²

أ- التجارة مع دول افريقيا:

كانت الجزائر لها علاقات تجارية مع دول افريقيا، وتم انشاء عدة محطات عبر الصحراء، وقد ارتكزت على جلب بضائع الصحراء والمتمثلة في العبيد، والذهب وريش النعام وغيرها وكانت مالي ونيجر وشمال نيجيريا (الحالي) تحتل مكانة مرموقة في تجارة بلاد المغرب، فتعاملت مع تنبكتو، كانوا، هاوسة، ودمركو، وسقاطو، وكانت القوافل تحمل الى هذه المراكز منتجات متنوعة منها المحلي و المستورد كالحبوب، الزيوت، التمور الأقمشة الصوفية وتعود محملة ب³ :

- التبر: وهو يستخرج من مناجم كثيرة في بلاد السودان ويبيع للتجار المغاربة بالسرة والوزنة والمثقال، ويوضع في اكياس تسمى الرقيبات (هي اكياس مصنوعة من رقبة الجمل) وفي المزواد (هي اكياس من جلود الجديان والماعز).⁴
- العبيد: وكان ذلك نتيجة الصراع حيث كانوا يباعون كعبيد لتجار شمال افريقيا مقابل بعض المنتجات والمصنوعات .

¹ أرزقي شويتام ، المرجع السابق، ص 23.

² وليام شالر ، المرجع السابق ، ص 103-104.

³ محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق ، ص 60.

⁴ ويزن مثقال ستة وتسعون حبة قمح وتزن الوزنة ستة مثاقيل وثلاثين و السرة تساوي خمسة عشرة وزنة أي مئة مثقال،

الزبيري ، مدخل في تاريخ المغرب العربي الحديث ، المرجع السابق، ص 146.

- **العاج:** حيث تباع أنياب الفيلة من منطقة البرنو وتباع في مدينة كانو لجمع التجار الأجانب وأيضا الأقمشة القطنية التي تصنع في كانو، وكانت تلون بالأزرق وترسل الى سكان الصحراء يفضلون اللون الأزرق والكورو " وهي فاكهة مالحة تزن الواحدة منها حوالي 10 غرامات" إضافة إلى ذلك الزيد وهو مادة يستخرج من القطط البرية التي تعيش في السودان وكانت تباع للتجار وتستعمل لصناعة العطور.

وكانت كل هذه المنتجات تتبع شبكة من الطرق البرية بين الشمال والجنوب مثل: الشبكة الربطة طوارق الهقار بتيديكلت ومنها نحو توات .

وقد كان التوارق يقومون بشراء التمر والسكر والشاي وكانوا هم يقومون بالمقابل ببيع الحيوانات والسمن وبعض المنتجات التي تأتيتهم، كما كان يوجد طريق رابط بين التوارق و(الدمرجو) حيث كانت رائجة فيه تجارة الملح والطريق الرابط بين ادرار وأيفور والنيجر، كانوا يقومون بشراء الحيوانات والأرز وأما عن التجارة الجزائرية مع السودان الغربي يقال عن الاتصالات الأولى كانت عن طريق بداية انتشار الإسلام ومن خلال هذه التجارة تمكنوا من نشر الإسلام بين سكان السودان¹، ويبدو إنا حجم المبادلات التجارية مع الدول المغاربية عامة والسودان الغربي خاصة كان متواضعا والسبب يعود إلى عدم إدخال العملة النقدية كوسيلة في المبادلات التجارية لأن كان طابع المقايضة يغلب عليها وأن القوافل كانت تقوم برحلة واحدة خلال سنتين أو ثلاثة سنوات وذلك لصعوبة المسالك.

ب- التجارة مع الدول المغاربية :

• مع تونس:

كانت تونس هي اقرب الأسواق الخارجية الى الشرق الجزائري لذلك كان تجار قسنطينة من تليين وصحراويين يفضلون التوجه إليها وللقيام بهذه العمليات التجارية، التي تعتبر أهم من النشاط الذي كان يتم عن طريق الموانئ كانت هناك مراكز أساسية تنطلق منها القوافل وتعود إليها أهمها قسنطينة والوادي وتوقرت وورقلة حيث كانت المواصلات بين هذه

¹ عبد العزيز قشتالي، مناهل الصفا في موالين الشرفاء، ت عبد الكريم الربط، 1971، ص 157.

الأسواق الرئيسية والأسواق المقابلة لها في تونس منظمة تنظيمًا دقيقًا بحيث أن التاجر يجد يوميًا قافلة يسافر معها ذهابًا وإيابًا.¹

طريق تونس :

الذي يبدأ من مدينة قسنطينة ويسير نحو الجنوب قليلا ليمر بالخرّوب ثم يرتفع نحو الشمال الشرقي، ويشق كثيرا من القرى أهمها وادي زناتي وسوق أهراس، قبل أن يصل إلى مدينة الكاف التونسية، ومنها إلى عاصمة الآيالة ولقطع هذا الطريق يستغرق السير مدة خمسة وعشرين يوما عاديا².

ولقد كانت قسنطينة هي عاصمة الشرق الجزائري وأكبر مدنه ومقر جمع السلطات التنفيذية فيه وقد كانت تعتبر أكبر أسواق المنطقة في ذلك الحين يؤمها التجار من جميع النواحي يجلبون اليهم قصارى جهدهم لترضية جميع الطلبات، وعلى هذا الأساس كانت قسنطينة توجه شهريا قافلة تحمل من حوالي ثلاثمائة بغل إلى مدينة تونس، تحمل إليها الصوف والجلود المفتوحة والتمور المجلوبة من الواحات والشواشي وتستورد منها المصنوعات الأوربية والعطور وبعض المنتجات المحلية والأجنبية مثل التوابل والقهوة والأقمشة الحريرية³.

وكان تجار قسنطينة للقيام بهذه الرحلات يستعينون بجماعة من اليهود لتعبير بعض وتحديد أسعارها في البيع، وفي الشراء وكما ذكرت بعض المصادر أن قافلة قسنطينة كانت تحقق في كل مرة أرباحا تزيد عن نصف رأس المال الذي يقدر شهريا بخمسمائة ألف فرنك، وهذه الأرباح كانت تعود بالمواد اللازمة لتلبية حاجيات السكان.

طريق نفطة وغدامس :

الذي ينطلق من توقرت ثم يتجه نحو الشمال ليمر بمحطة الفيض، حيث ينضم تجارة بسكرة إلى القافلة وبعد ذلك يعود نحو الجنوب الشرقي حيث يأخذ اتجاهين أساسيين أحدهما، شمالا نحو مدينة نفطة مباشرة وثانيهما نحو الجنوب إلى سوق غدامس مرورا بمحلة البئر الجديد، ويعتبر سوق توقرت ثالث أسواق الواحات بعد الوادي وورقلة ووادي

¹ محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق، ص 60.

² مذكرات وليام شالر، المرجع السابق ، ص 33.

³ جون.ب. وولف، الجزائر وأوروبا 1500 م - 1830 م ، ت أبو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص

ريغ ينتج التمور بكثرة ويضع الأقمشة الصوفية العادية، فإن تجار توقرت يحملون إلى الجنوب التونسي بعضا من هذه المنتجات والمصنوعات ويجلبون منها كثيرا من الأقمشة القطنية والعطريات المستوردة من أوروبا فيوزعنها على الأسواق المحلية.¹

طريق غدامس :

الذي يخرج من ورقلة ويتجه مباشرة نحو الشرق عبر الفيافي إلى أن يصل مدينة غدامس، وكما ذكر فهو طريق صعب للغاية مغطى بكثبان الرمل ومع ذلك فإن تجار ورقلة يسافرون باستمرار إلى هذه السوق، التي يلتقي فيها القوافل تونس، وطرابلس، والسودان، والجزائر حيث تتبادل السلع وتعود إلى منطقتها، والعامل الأساسي الذي ساعد على تطوير العلاقات بين ورقلة وخدامس يتمثل في التنافس، الذي لا ينقطع بين واحة الوادي وسكان غدامس والقافلة كانت تخرج محملة بالأقمشة الحريرية والقطنية وبالتمور والحبوب والزيت والأسلحة ثم تعود البتر والعبيد وجثث النعام والعاج والبخور وغير ذلك من المنتجات الأفريقية.²

• مع السودان :

لقد كانت الجزائر تقيم علاقات تجارية هامة مع بلاد السودان، ولم تنقطع هذه العلاقة إلا عندما وقع الاحتلال الفرنسي، وكانت القوافل الجزائرية بقيادة التوارق والخاناسة كثيرا ما تحط رجالها في أكبر أسواق إفريقية، مثل تمبكتو وكانو ونوفي وكاتشنه وأغادس، وأهم المراكز التي تنطلق منها هذه القوافل هي قسنطينة والوادي وتوقرت وورقلة، أما قوافل ورقلة فإنها تسلك طريقين أولهما يمر بغاط قبل أن يصل أحير التي تعتبر أول محطة سودانية ويستغرق لقطع هذه المسافة ثلاثة وسبعين يوم، والمحطة الثانية هي أغادس التي يبتعد عن أحير سبعة أيام والمحطة الثالثة هي دامركو الواقعة في مقاطعة برنو وفي منتصف الطريق بين أغادس وكاتشنه والمحطة الرابعة كاتشنه، والخامسة هي سقاطو عاصمة بلاد السودان وتدعى كذلك أفنو، أما الأخيرة في هذا الطريق وهي كانو والتي تعد من أكبر المدن السودانية³، وكانت السودان تتوفر على عدة طرق الرابطة بين السودان والجزائر ومنها

¹ محمود السيد، تاريخ إفريقيا القديم والحديث، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006، ص 248.

² صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر (1814 م - 1962 م)، دار العلوم للنشر والتوزيع، (د.ت)، ص 168.

³ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 528.

طريق توقرت، فإنه يتجه نحو الشمال ليمر بمحطة الفيض ثم يعود نحو الجنوب الشرقي ليصل إلى كوينين ومنها إلى البئر الجديد وغدامس وطريق الوادي فإنه يتجه مباشرة إلى غاط، على الرغم من أن مروره بغدامس يسهل كثيرا مهمة القافلة، وأخيرا طريق قسنطينة يمر بعين مليلة وياتنة والقنطرة ويسكرة قبل أن يصل إلى محطة الفيض، حيث تنقسم القافلة فيذهب الجزء الأول إلى غدامس ويسلك نفس طريقها إلى كانوا ويتجه الثاني إلى ورقلة عبر تماسين ثم يأخذ مسالكها إلى تمبكتو أو كانوا وبعد التحدث عن هذه الطرقات التي تسلكها قوافل الجزائر عندما تتجه إلى أعماق إفريقية يجب التكلم عن مختلف المواد التي تتاجر فيها.¹

إن نشاط التجار الجزائريين كان يشمل جميع الميادين وهذه أهم صادرات الجزائر وواردته من أسواق السودان واليهما :

الصادرات :

أ-الحبوب: وكانت القوافل تشحنها من نواحي المسيلة وسهول الفيض الواقعة عند مصب وادي العرب وكان الشرق الجزائري بصفة عامة من أكبر المناطق المنتجة للقمح والشعير والفل والحمص.

ب-الزيوت: وأجودها ما يعصر في نواحي بسكرة وجبال الأوراس غير أنها لا تنتج إلا بكميات قليلة وقد كان زيت الزيتون يباع في إفريقيا بأنماط لا تطاق.

ج-التمور: وتؤخذ من أسواق الوادي وتوقرت وورقلة ثم تحمل بكميات كبيرة إلى بلاد السودان.

د-الأقمشة الصوفية: وتعتبر من أهم مصادر الثروة في صحراء الجزائر حيث تضع منها البرانس والقنادر والحنابل وغيرها من الألبسة والأغطية التي تباع بكثرة في سائر أسواق السودان .

هـ- المرجان: حيث يباع في أعماق إفريقية وهو يشتري من الغواصين الأجانب.²

و- الأسلحة: وتشمل على الأسلحة النارية المستوردة من فرنسا وانكلترا عن طريق السوق الحرة أو الأسلحة المصنوعة في توقرت ووادي ميزاب .

¹- صالح فرкос ، المختصر في تاريخ الجزائر (1814 م - 1962م) ، المرجع السابق، ص 529.

²- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 126.

ز - البارود: يوجد في أماكن كثيرة مثل الزيبان حيث قبيلة أولاد نايل باستغلال مناجمه وفي وادي جدي.

ي-ريش النعام: موجود جنوبي الجزائر وفي نواحي ورقلة على وجه الخصوص يصطاده الأهالي للحصول على جثته وشحومه.

أهم الواردات :

-البتر: ويستخرج من مناجم كثيرة في بلاد السودان حيث ترتفع قيمته بقدر الابتعاد عن موطنه ويباع التبر الى التجار الأجانب بالسرة والوزنة والمثقال.

-العبيد : كان أمراء السودان يتحاربون فيما بينهم والأسرى هم العبيد يبيعونهم لقوافل شمال إفريقيا مقابل بعض الذي يباع يفقد بالنسبة لقبيلته، وتعتبر ورقلة في الشرق الجزائري هي مستودع العبيد يوجهون منها إلى سائر أنحاء البلاد.

- العاج: تستورد أنياب الفيلة من منطقة برونو وتباع في مدينة كانوا لجميع التجار الأجانب وينقل إلى أوروبا عن طريق تونس عادة .

- الأقمشة القطنية: وتصنع خاصة في مدينة كانوا ثم تلون بالأزرق أو تخطط وترسل إلى شمال إفريقيا وقد كان التوارق يفضلون اللون الأزرق لأنه يطلق على الجسم مادة تسد مسامه التي تظل مفتوحة نتيجة الحر.¹

- الكورو: وهي فاكهة مالحة تزن الواحدة حوالي عشر غرامات يستعملها الأفارقة بمثابة القهوة .

- الزبد: حيث يستخرج من القطط البرية التي تعيش في السودان وتتغذى باللحم باستمرار.

- الحشيش: وهو نوع من المخدرات التي كان الأغنياء في الإيالة يتعاطونها ويزرع في نواحي أحير بكميات كبيرة إلى درجة أنها تصدر منه سنويا أكثر من ألفي حمولة بغير . وكما هو الشأن بالنسبة للصادرات هناك أيضا مواد أخرى تستورد من الأسواق السودانية ومنها جثث النعام والعسل وجلود بقر الوحش مدبوغة وفول السودان والبخور الأسود وغيره.

¹ يذكر براكس، أن هذا هو السبب الذي جعل التوارق يغطون كل أجسامهم لا يتركون منها سوى الكف والأعين، ص

18، أنظر، أرزقي شويتام، ص 216.

• مع المغرب:

لقد كان النشاط التجاري بين المغرب محدودة جدا إذا قارناه بالعلاقات اليومية التي كان يقيمها تجار الجنوب والشمال مع الأسواق التونسية، وأهم المدن التي لها اتصالات بأسواق المغرب هي قسنطينة وبسكرة وورقلة فأما قسنطينة، فإنها ترسل قوافلها إلى فاس عن طريق الشمال الذي يمر بسطيف والجزائر ووهران وتلمسان ووجدة فتحمل إليها كثيرا من الأقمشة بأنواعها الصوفية والقطنية والحريرية وتجلب منها البلغ (الأحذية الجلدية) وأما بسكرة فإنها تستعمل الطريق الواسطي للاتصال بواحة فكيك، وذلك بعد أن تمر بالأغواط والبيض والشالة محملة بالحريير المنسوج المستورد من تونس والأقمشة الصوفية ذات الصنع المحلي وفي الرجوع تستورد الأقمشة القطنية المستوردة من أوروبا.

وكانت قوافل تسلك الطريق الجنوبي الذي يمر بالقرارة وغرداية ومتليلي ثم فكيك ليقف في تافاللت، وإلى هذه المحطة الأخيرة يحمل تجار الجنوب مصنوعاتهم الصوفية وريش النعام والخردوات المستوردة وكذلك بعض المنتجات التونسية وفي الرجوع يجلبون معهم الفيلاي والخيل والأسلحة.¹

وهكذا نرى أن التجارة بين المغرب والجزائر لم تبلغ درجة كبيرة من الرواج، لم تكن تتناول سوى بعض المنتجات والمصنوعات الكمالية وأن المصادر التي تعرضت لهذا الموضوع لم تورد لنا نوع من الإحصائيات نظرا لعدم اهتمام التجار بالمحاسبات، ولعدم وجود هيئات خاصة أو عمومية تعني بالمسائل التجارية في ذلك الحين، ولذلك لا نستطيع أن نذكر مقدار رؤوس الأموال التي كانت تستعمل في كل سنة للقيام بمختلف عمليات التصدير والتوريد غير أننا نكد بأن التجارة بصفة عامة قد توقفت مع بداية الاحتلال الفرنسي.²

• مع ليبيا: إذا أردنا أن نرتب العلاقات التجارية مع ليبيا نجدها هي التي تحتل المرتبة الأخيرة، وذلك لأن أهم سوق في الايالة الطرابلسية يوجد في مدينة غاط،³

¹ عبد الرزاق بن حمدوش، رحلة ابن حمدوش المسماة لسان المقال في البناء عن النسب والحال، تقديم وتعليق ابو

القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص 84.

² - محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 130.

³ هي سوق التوارق تقع في أقصى الجنوب الليبي على بعد عشرين يوما من أغدامس وأربعين من عين صالح وهي مركز تجاري هام في ذلك الوقت لأنها تجمع التجار في مختلف أنحاء إفريقيا.

ولا ينعقد إلا مرة في السنة ليجتمع فيها التجار من مصر وشمال أفريقيا والسودان، وقد كانت القوافل الجزائرية ترحل إليه من توقرت والوادي وورقلة، ثم تتضمن إلى القوافل التونسية في مدينة غدامس ومما يستحق الذكر في هذا المجال أن التوارق كانوا يأخذون جميع استعداداتهم بحيث تصل جميع القوافل في شهر واحد، هو شهر أكتوبر وكان تجار الجنوب الشرقي من آيالة الجزائر يحملون إلى هذه السوق منتجاتهم ومصنوعاتهم المحلية، وكذلك بعض المواد العطرية والجواهر والكاغط والتوابل وغيرها من المنتوحات والمصنوعات الأوربية المستوردة، وفي الرجوع يجلبون معهم الحمير المصرية والعبيد والبتز وسائر المنتوحات الإفريقية المذكورة في الجزء الخاص بالعلاقات مع السودان،¹ ومن غاط كان بعض التجار من الجزائر يتقدمون إلى مدينة مرزوق، حيث يبيعون بضائعهم بأسعار أعلى ثم يواصلون السير إلى مدينة طرابلس، حيث يشترون الجمال ويعودون إلى البلاد عبر سوق غدامس .

إن التجار مع آيالة طرابلس كانت موجودة وكان من الممكن تطويرها لو وجدت هيئات منظمة تعتني بها غير أن الإدارة العثمانية في ذلك الحين لم تكن تعطي للنشاط التجاري حق قدره، ولذلك أهملته وتركته رهن المبادرات الفردية الأمر الذي لم يساعد على ازدهار وتحقيق النتائج المرجوة منه .

ج- التجارة مع أوروبا :

- كان التبادل التجاري مع دول أوروبا الغربية طوال القرن 18م وفي بداية القرن 19م ينتج فائضا ماليا لصالح الجزائر أدى إلى تدفق الريالات الإسبانية على البلاد،² حيث نالت إسبانيا بفضل الصلح المبروم مع الجزائر سنة 1791م حقوق صيد المرجان بالسواحل الغربية، وتحصلت على رخصة إشتراء 1000 حمولة قمح مع تخفيض الرسوم

¹ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800 م ، 1830، المرجع السابق، ص 87،

² المنور مروش، المرجع السابق ، ص 69.

الجمركية على سفنها بالمرسى الكبير بحيث لا تتجاوز هذه الرسوم 56 ريالا مقابل إتاوة سنوية تقدر ب 120 ألف فرنك فرنسي سنويا¹.

وعلى خلاف دولة إسبانيا وحصولها على إمتيازات نجد فرنسا أيضا حصلت على إمتيازات مكنتها من فرض نفسها² ومن أهمها حصولها على حصن الباستيون الذي هو عبارة عن مركز تجاري فرنسي تتولاه شركة فرنسية تتعامل مع سكان المنطقة وخاصة قبيلة الحناشنة* التي تباع منتوجاتها الزراعية والحيوانية وغيرها مثل الحبوب والغلل والعسل والشمع والجلود بالإضافة إلى الصيد البحري من المرجان والإسفنج، هذا المركز الذي تأيد ب 14 إتفاقية سنة 1754م وكانت أول إتفاقية له حصلت في عهد الباييلربك علج علي وفي عهد هذا الأخير نال تاجران مرسيليان إمتيازات بإنشاء مركز تجاري لصيد المرجان في مساحة بحرية ما بين عنابة والقالة مقابل ضريبة سنوية وبطبيعة الحال لم يحترم الفرنسيون هذه التعهدات وقاموا بتحسين المركز التجاري الذي أقاموه بالقرب من مدينة عنابة وأطلقوا عليه هذه التسمية (الباستيون) وذلك بالرغم من معارضة السلطان العثماني في ذلك الوقت³.

ثم منيت الجزائر منذ أواخر القرن 18م وبداية 19م حيث إنتشرت فيها الرشوة والفساد ودخلت الجزائر في أزمة إقتصادية خانقة بسبب تضاعل فرص القرصنة في البحار وكانت القرصنة تدر دخلا عاليا للبلاد عرف عند الدولة العامة، بالإضافة إلى الإرتباك في إدارة البلاد وضعف الحركة التجارية حتى أن الصناعات الوطنية النشيطة التي جعلت

¹ نصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص 74.

² الحناشنة: وهي قبيلة كبيرة تمتد أراضيها من تبسة إلى الأوراس وتستطيع أن تجند ما بين 250 و 300 فارس و 600 جندي راجل، أنظر أحمد باي، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة، وبوضربة، تحقيق وترجمة، محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر 1982، ص 85.

³ عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 77.

إعتمادها على المنتجات المحلية عانت هي أيضا من كساد الأسواق وهكذا ضعفت الصناعة كما ضعفت التجارة¹.

بالإضافة إلى المؤسسات الأوربية بدأت تزيد من إنتاجها بشكل ملحوظ بفعل التطورات التي شهدتها العالم، وكذا التطورات الاقتصادية التي حصلت².

لقد إنتهت الأوضاع بالجزائر مع نهاية القرن 18 م ب بروز أزمات متعددة الجوانب ،هزت المؤسسات العسكرية ونسفت أسس العلاقة بين البايك (السلطة) والسكان، وحولت العلاقات الخارجية خاصة مع أوروبا إلى عدااء صريح مفتوح، وليس لكونها تمتلك القوة العسكرية وتصدر التعليمات الفردية التي تولد على الورق وتموت في الأدراج كما هو واقع الأنظمة المتأخرة في عصرنا بفعل التعارض في المصالح والإختلاف في المفاهيم الحضارية وتأثير ترسبات الماضي المشحون بروح الصراع الديني منذ انهيار الوجود الإسلامي بالأندلس ومحاولة تطبيق مخطط الاسترجاع المسيحي لإقليم شمال إفريقيا، وكذلك إنهار الهيكل الإداري والإطار السياسي للحكم العثماني، فالعجز المالي للخزينة وإضطراب الإدارة والتراجع الديمغرافي الذي صاحب سوء الحالة الصحية والمعيشية، وقلة الإنتاج الزراعي والحرفي مع شيوع الفتن والاضطرابات، والقضية التي كانت محور العلاقات فهي النشاط البحري للجزائر العثمانية حيث نتجت عنه قضايا شائكة عمقت من روح العدااء مع العالم الأوروبي³.

المبحث الرابع: الواقع الثقافي .

عرف العهد العثماني بالإيالة الجزائرية منذ القرن السابع عشر ميلادي الى الربع الأول من القرن 19م بالركود الثقافي مع ما شهدته النهضة العلمية والصناعية في أوربا ورغم ذلك فقد برزت حركات تجديدية فكرية من علماء جزائريين تركوا بصماتهم الأدبية

¹ محمود السيد، تاريخ إفريقيا القديم والحديث، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006، ص 248.

² محمود باشا محمد، الاستيلاء على إيالة الجزائر (ذريعة المروحة)، ترجمة عزيز نعمان، دار الأمن للطباعة،

الجزائر، 2005، ص 42.

³ ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 176-178.

في حفظ التراث الإسلامي وفي استمرار عمران المساجد والزوايا والمكتبات التي زخرت بأدب الرحلات والشعر الشعبي بالإضافة إلى المؤسسات الدينية والتعليمية التي حافظت على أسسها مؤسسات الأوقاف وكذلك إسهامات العائلات الأرستقراطية والأشراف وأعيان المدن وشيوخ الزوايا القرآنية.

- ان المؤسسات الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني لا تكاد تخرج عن المسجد والمدرسة والزوايا والكتاتيب ومعظم هذه المؤسسات كانت للتعليم أكثر مما كانت للثقافة بمفهومها اليوم ولم يكن من هذه المؤسسات جامعة أو معهد عال رغم ان بعض المساجد والمدارس والزوايا¹، كانت تنشر تعليم في المستوى العالي² وسنحاول في هذه الصفحات إبراز دور هذه المؤسسات في الحياة الثقافية خلال هذا العهد.

1- المساجد :

تعد المساجد من المظاهر والمنشآت المعمارية التي لا يمكن أن تخلو أي مدينة من المدن الإسلامية منها فهي تعتبر روح وجوهر العقيدة الإسلامية لأهل المدينة فالمساجد كانت من ابرز ميزات مدينة الجزائر التي تجلت فيها معالم الحضارة الإسلامية والتأثيرات العثمانية وكان لهذه المساجد دورا كبيرا في حياة المجتمع فكانت تقام بها الصلاة وإلقاء حلقات الدروس اليومية ومحطة لفنون العلوم التي كانت معروفة، آنذاك بحيث كانت بعض الجوامع والمساجد تابعة لزوايا معينة والتداخل ليس في الاسم فقط بل في الوظيفة أيضا فالجوامع والمساجد كانت للعبادة³، والتعليم مثل الزوايا ولكن الأخيرة كانت ملجأ ومسكنا للطلبة والغرباء ومركز لتلقي الأذكار فالجامع اكبر حجما من المسجد.

¹ - مصطفى بن حموش، دار السلطان، مقاطعة الجزائر في العهد العثماني، الإدارة الحضرية و التهيئة العمرانية - ط1،الجزائر، دار البصائر 2009.

² - أمال شارفي، جهاد يعقوب، الحياة الاجتماعية و الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني، إشراف صالح حمير، كلية الآداب و اللغات و العلوم الاجتماعية و الانسانية، 2009، ص52.

³ - أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ط1 ، المرجع السابق ، ص 245-246 .

وقد ذكر "هايدو" في أواخر القرن 10هـ/16م أنه كان يوجد في المدينة على الأقل 100مسجد كبير أو صغير لكل منها أئمة لإدارتها وإلقاء الخطب وبنيت تلك المساجد من طرف العثمانيين بما فيهم الأعلاج.

ونذكر "درافيو" في القرن 11هـ/17م أن الأتراك كانوا قد أسسوا عددا كبيرا من المساجد جميلة جدا مع مآذن رائعة جدا،¹ وكانت المساجد تحتوي كذلك على المحراب والمنبر والصومعة وقناديل لإضاءة والماء للوضوء ومن أهم ما كان يلحق بالمساجد الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم للأطفال وكانت تحتوي المساجد على موظفين منهم الوطيل والخطيب والإمام والمدرس والمؤذن.² ومن أهم مساجد الجزائر خلال الفترة العثمانية هي:

- الجامع الكبير: وهو من أقدم المساجد في الجزائر ويسمى كذلك الأعظم وكانت مهمته في الوظائف الدينية وخدمة المسلمين.³

- الجامع الجديد: وهو من المساجد الباقية حتى الآن له منارة عالية ترى عن بعد من البحر.

- مسجد علي بتشين: يعد مسجد علي بتشين من أهم مساجد تلك الفترة فكان علي بتشين من ریاس البحر خلال القرن 11هـ/17م وقد قام ببناء هذا المسجد من ماله الخاص .

- مسجد كنتشاوة: يعتبر مسجد كنتشاوة من أشهر مساجد العاصمة وهو يقع في الساحة المسماة حاليا ساحة بن باديس كان يحمل اسم كنتشاوة التي تعني بالتركية (هضبة المعز).

- مسجد السيدة: يعتبر من المساجد الشهيرة في الجزائر منذ القرن 10هـ/16م حيث تحدث عنه هايدو الاسباني سنة 977هـ/157م واتخذة الباشوات مصلى لهم لقربه من قصر الجنيانة واعتبره ديقوكسي من جوامع الدرجة الأولى لجماله وفخامته.

¹ - أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، المرجع السابق ، ص ص 258-259

² - أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، المرجع السابق، ص 29.

³ - عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 158.

والجدير بالذكر أن هذه المساجد والجوامع والمصليات كانت تحظى بالعناية والاهتمام من طرف كل مجتمع مدينة الجزائر بما في ذلك ممثلي السلطة.

2- الزوايا والرباطات:

لقد كانت الزوايا والرباطات تحتل الصدارة بين مراكز الثقافة من ناحية تثقيف المعوزين والفقراء من أبناء الشعب المتعطش وقد كانت مقسمة إلى قسمين اثنين كل قسم منها يقوم بدوره أحسن قيام فالقسم الأول يقوم بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم ويؤممه غالبا الأفراد الذين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية وأما القسم الثاني فانه يقوم بتدريس بعض فنون الفقهيات وبعض المبادئ في علم الفلك والعقائد وقواعد النحو والصرف وفنون اللغو والنطق،¹ وما يميز العهد العثماني بالجزائر انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني المخصصة لها ففي المدن والأرياف.²

وقد تمثلت الزاوية في مجتمعات من البيوت والمنازل المختلفة تضم بيوتا للصلاة وغرفا لتحفيظ القرآن كما تحتوي على مساكن ومطاعم لطلابها ويقوم بتأسيس رجال الدين المتصوفون،³ وكان بناء الزاوية يختلف عن بناء المسجد والمدرسة فالزاوية جمعت بين هندسة المسجد والمنزل فهي عبارة عن حيطان منخفضة كالقباب والعرضات قليلة النوافذ وهي من الناحية الهندسية غير جميلة وشكلها يوحي بالتقشف والهدوء.⁴

ويضاف إلى الزوايا أضرحة العلماء والصلحاء مثل ضريح أبي الفضل ضريح عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر زاوية عبد القادر الجيلالي⁵ كذلك مدينة قسنطينة ضريح

¹ - محمد بن ميمون الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ،تقديم محمد بن عبد الكريم ، الجزائر ،شركة النشر و التوزيع ،1981،ص 59.

² - العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة سيرتا، عدد 03.1980،ص 63.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 266-267.

⁴ - نفسه، ص 243.

⁵ - أبوا زيد المشهور بالثعالبي ، من مواليد 1384 ،شرق مدينة الجزائر، درس في بجاية ثم في تونس ، من تلاميذه السنوسي، عبد الكريم المغيلي السنوسي ، توفي عن عمر يناهز 90 سنة 1471 م،أنظر المرجع، ويليام سبنسر، المرجع السابق ص 112.

سيد احمد الكنتي سيد عبد المؤمن سيدي عفان وأيضا بمدينة تلمسان زاوية سيدي بومدين وسيدي محمد التونسي.

إن الزاوية كثيرا ما عملت على تكوين الديني والاجتماعي والتربوي لمؤيديها وأتباعها مع بعض الاختلاف الوضع من زاوية لأخرى بحكم أذكار الطريقة وموضع الزاوية ومدة مقدرتها اقتصاديا.

3 -الكتاب والمدراس:

كانت توجد في مدينة الجزائر خلال القرن 10هـ/16م مدارس للأطفال تعرف بالكتاتيب تؤدي نفس هذه المهام وقد تحدث الجامعي الفاسي في رحلته عن الكتاتيب القرآنية في مدينة الجزائر فقال (....وقد كان بهذه الحضارة نحو مائة مكتب مليء بالأولاد حيث إن المحل الذي لا يسع للتلاميذ يجعلون فيه سدة يصعدون عليه الدرج يتعلمون القرآن والكتابة ويحفظون القرآن العظيم وحفاظه كثيرين والدروس العليا تلقى في المساجد والزوايا العديدة بالخصوص الجامع الأعظم فكان فيه تسعة عشر استاذاً)¹.

كانت المدارس مؤسسات ثقافية تتمثل وظيفتها بصورة أساسية في تعليم مختلف العلوم الدينية وعلوم اللغة ومبادئ القرآن والكتابة وقد عرف ابوراس الناصري المدرسة بقوله « المدرسة المتعارفة عندنا الآن هي التي تبنى بدراسة العلم أي تعليمه وتعلمه»².

كما كانت هناك كذلك المدارس الابتدائية التي لا يخلوا حي من الأحياء منها ولا قرية من القرى في الريف وكانت منتشرة بين أهل البادية الأمر الذي أذهل كل من زار الجزائر خلال العهد العثماني من كثرة مدارسها وقلة الأمية بين سكانها، وقد وجدت المدارس في مختلف حواضر الجزائر فمدينة الجزائر وحدها تحوي على 299مدرسة يدرس بها 5583 تلميذ أما مدارس قسنطينة فلم تكن تقل أهمية عن مدارس مدينة الجزائر

¹ - الجامعي الفاسي ، رحلة الجامعي للفاسي " نقلا عن مولاي بلحميسي"، مدينة الجزائر خلال النصوص العربية و

الأجنبية، وزارة التعليم العالي و الشؤون الدينية، العدد الثامن، الجزائر ، 1972، ص 62.

² - أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنتبه في التحدث بفضل ربي ونعمته ، تحقيق محمد بن عبد الكريم المكتب الوطني

للكتاب ،الجزائر ، 1996 ص 114.

وقد عرفت هذه الاخرى اشعاع،¹ ثقافيا خاصة في عهد صالح باي الذي اسس المدرسة الكتانية عام 1190هـ 1776م لتعليم مختلف العلوم وقد جعل لها نظاما خاصا كما انه أسس عدة مدارس في عنابة وجيجل وكان يلحق بكل مدرسة مسجد ومكتبة،² أما الكتاتيب وهي مأخوذة من الكتاب³ وجمعها كتاتيب او مسيد هو تصغير لكلمة مسجد كانت تمثل المرحلة الاولى من التعليم مثل التعليم الابتدائي في عصرنا الحالي.⁴

فكان هذا النوع من المؤسسات التعليمية منتشرا في طوال البلاد وعرضها في القرى والارياف وفي جميع الاحياء الامر الذي ادهش القادة الفرنسيين عند احتلالهم بالجزائر اذ كتب الجنرال دوماس "Domas" تقريراً له: " ان تعليم الابتدائي في الجزائر كان منتشرا اكثر مما يتصوره الانسان عموما فاتصالاتنا بالأهالي بالأقاليم الثلاثة اظهرت ان نصف السكان من الذكور يعرفون القراءة والكتابة".

وقد خصصت الكتاتيب لحفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة وبعض مبادئ الحساب فدعت الضرورة الى تأسيسها منفصلة عن المسجد بغرض المحافظة على نظافته ووقاره ولكي يتحصل على جو الخشوع المطلوب عند الصلاة.⁵

4- المكتبات:

كانت الجزائر خلال العهد العثماني في مقدمة البلدان الكثيرة الكتب والمكاتب وكانت الكتب في الجزائر تنتج محليا عن طريق التأليف والنسخ او تجلب من الخارج خاصة من الاندلس ومصر، واسطنبول، والحجاز، حيث وجد عدد كبيرا من المكتبات قبل مجيء العثمانيين فكانت تلمسان عاصمة علمية مزدهرة بلغت فيها صناعة الكتاب، وما يقال عن مدينة تلمسان يقال عن مدينة بجاية وقسنطينة لقد كانت مصادر الكتب متنوعة من كتب الاندلسيين وحتى من البلاد الاندلسية الاخرى حيث كانت في اعماق الصحراء

¹ - عبد القادر حلمي، المرجع السابق، ص 213.

² - العيد مسعود، المرجع السابق ص 65.

³ - أبوا القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 276.

⁴ - رابح بونار، ذكرى الألفية لتأسيس مدينة الجزائر الأصالة، عدد 8، 1972، ص 84.

⁵ - أحمد مريوش المرجع السابق، ص 18.

مكتبة غنية خلال القرن 17 من الشيخ محمد بن اسماعيل بها 1500 كتبا وكاتب الكتب تنتقل الى الحجاز والعلماء يذهبون حتى الى الاماكن البعيدة لجلب الكتب المتنوعة.¹ وكان العلماء عند المجيء بهم إلى الجزائر اصطحبوا معهم مكتباتهم وأوراقهم ووثائقهم وأهم ما جاؤا به كتب الفقه الحنفي ونسخ من صحيح البخاري وكتب الأدعية والأذكار الصادرة عن الطرق الصوفية²، وتحدث التلمذ في اواخر القرن 10هـ/16م عن وفرة الكتب في مدينة الجزائر حيث قال (وطلبة العلم فيها لا بأس بهم والكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقية وتوجد فيها كتب الاندلس كثيرا....)³.

5- العلماء ومكانتهم:

بما أن الطابع الغالب في ذلك العصر هو الطابع الديني العلمي فلم يفصل بين العلم والدين لان كلاهما يكمل الآخر⁴، لذا فكلمة علماء تعني رجال الدين، فكل محدث ومفسر وفقهه يعد في نظر الناس عالما فقد قسم الدكتور سعد الله العلماء خلال العهد العثماني الى ثلاثة اصناف .

العلماء الموظفون والفقهاء المستقلين لا صلة لهم بالتصوف ثم العلماء المتصوفة دعاة العلم.⁵

ان الطبقة الرسمية التي تشمل القضاة والمفاتي والمدرسين ثم الطبقة الملحقة بها رجال الزوايا والمتصوفة وسلالة الاشراف⁶، وقد اشتهرت هذه الفئة بالورع والتقوى⁷، والتي تنتمي بالمدن الى الطبقة الحضر أما الريف فكان المرابط ينتمي الى عائلة دينية يعمل على

¹ - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1 ، ص 233 - 235.

² - نفسه ، ص 288.

³ - علي بن محمد التلمذ، المرجع السابق، ص 59.

⁴ - عمار هلال، أبحاث ودراسات الجزائر المعاصرة، (د ت ن)، الجزائر، ص 381.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 481.

⁶ - ابن ميمون، المرجع السابق، ص 48.

⁷ - عبد الكريم ابن فكون ، المرجع السابق، ص 65.

رعاية التعلم والقيام بدور المؤذن والإمام إضافة الى الفصل بين الخصومات والإصلاح بين القبائل كانت فئة العلماء عربية باستثناء القضاة والمفتون الأحناف.¹

- إن الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني كانت امتدادا لتلك التي وضع أسسها العلماء الأوائل في المرحلة السابقة، إذا كانت الجزائر تحظى برصيد ثقافي هام قبل مجيء الدولة العثمانية وتجلّى ذلك في عدد من العلماء الذين تركوا بصماتهم في شتى فروع الحياة فيما ترى كيف كان حال العلماء في ظل تلك التطورات التي عرفتها منطقة المغرب بعد أن ظهر فيها العثمانيين ؟

- مع بداية ظهور العثمانيين ظهرت اضطرابات في المغرب وما كاد ينتهي القرن 10هـ/16م حتى عرفت الحياة الثقافية تدهورا كبيرا لعدم استقرار الأوضاع وقد سبب ذلك هجرة عدد كبير من العلماء الجزائريين الى الأقطار العربية والمشرقية،² حيث شجعت الحدود المشتركة بين الجزائر والمغرب بعض العلماء³ الجزائريين، من أمثال الونشريسي⁴، ومحمد بن محمد التلمساني ... إلخ فقد ترك هؤلاء العلماء بعد هجرتهم فراغا ثقافيا في الحواضر الجزائرية حيث عرفت الحياة الدينية والعلمية ركودا في عهد الأغوات 1070-1082هـ-1659م-1671م الذي تميز باضطرابات وفوضى فاستغل بعض الصقليين تلك الأوضاع ليدعوا العلم والمعرفة وهذا ما جعل عبد الكريم الفكون المتوفي في علم 1073هـ-1662م يؤلف كتاب يفضح فيه أولئك الانتهازيين.⁵

-وقد أشار ابن زكور المغربي 1074-1120هـ/1663-1708م الذي حل بالجزائر عام 1065هـ/1863م ومن العلماء الذين أخذ عنهم العلم وأجازوه أمثال الشيخ محمد بن سعيد

¹ ناصر الدين سعيدوني ، دراسات في الملكية و الوقف والجباية، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2001 ، ص 209.

² - أرزقي شويّتام، المرجع السابق، ص 464.465.

³ - محمد بن الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 75 . 77 .

⁴ - هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي ، من مشاهير علماء الجزائر في مطلع القرن 10هـ (16م) وكان الونشريسي طليعا في الحديث و التفسير و التوحيد و المنطق ،وقد إنتقل إلى المغرب بعد أن تعرض للمضايقات من طرف السلطان الزياني عام 874هـ (1469م)، انظر أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص272

⁵ - عبد الكريم بن الفكون، المرجع السابق ، ص 35.

قدورة المتوفي عام 1066هـ/1684م والشيخ المانجلاتي،¹ والذين قال عنهم "غرر اعلام ينجلي بهم الظلام شمس تنفرج بهم كل غمة وتفتخر بهم أخبار الأمة من رجال كالجبال وأخبار كالأقمار".²

ولم تعرف الحياة الثقافية تحسنا طوال القرن 12هـ/18م ومطلع القرن 13هـ/19م إذ ساءت الحالة المادية للعلماء مما دفعهم الى الهجرة والانصراف الى ممارسة التجارة،³ وبما أن العثمانيين اهتموا بأمور الحكم من سياسة واقتصاد الجيش تاركين القضايا ذات الصلة بالدين والثقافة لفئة العلماء التي احتكرت الإفتاء والقضاء والتعليم والإمامة والخطابة واكتفى الحكام بتعيين العلماء في مناصبهم أو عزلهم منها كما كان يتم عزلهم تبعا لرأي أو شكاوي الأهالي أو بسبب فضائح مختلفة.⁴

وقد كان العلماء والموظفين يكسبون معاشهم من الأوقاف ومن الأجور الشهرية لهذا فمصاريف نفقات القائمين على الأمور القضائية والدينية والثقافية لم تكن تكلف الدولة إلا القليل من الأعباء مقارنة مع أجور الجند.⁵ وكانت أوقاف الجزائر تنتزع على عدة مؤسسات دينية وخيرية غرضها تحقيق المنفعة العامة.⁶

لقد ساهمت هذه الصفحات في إلقاء الضوء على واقع الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني مع توضيح أبرز المؤسسات الثقافية العلمية وقد فرضت المؤسسات الدينية

¹ - أسرة جزائرية اشتهر أفرادها بالعلم منهم محمد المانجلاتي الذي انتظر لعبد الحميد بك أعيان من المشاركة و المغاربة (تاريخ عبد الحميد بك، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله ، بيروت 2000م ، ص 153.

² - مولاي بلحميسي ، المرجع السابق ، ص 117 - 116 .

³ - أرزقي شويتام، المرجع السابق ، ص 466.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 389 - 388.

⁵ - نصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق، ص 138.

⁶ - مولاي بلحميسي ، المرجع السابق ، ص 178.

وجودها على المجتمع من خلال ما تقدمه من مساعدات وتنظيمات للسكان كما تميزت هذه المؤسسات بتنوعها من حيث عددها وكثرة مهامها.¹

إن التعليم في الجزائر قد حقق بعض النتائج الإيجابية المتمثلة في تلقين شريحة واسعة من مجتمع القراءة والكتابة كما أن الجزائر كانت تزخر بحشد من العلماء إلا أن الاضطرابات والفتن التي عرفتها البلاد في بعض الفترات قد أرغمت بعضهم على الهجرة مما جعل أبناء وطنهم لم يستفيدوا من علومهم ومعارفهم.

ونستنتج مما سبق:

لقد تميزت الفلاحة بالتنوع في الإنتاج حيث نجد أن الجزائر احتوت على منتجات متعددة نباتية وحيوانية من حبوب وخضر وفواكه إضافة اهتمام الحكام العثمانيين بالفلاحة وإدراكهم لأهمية هذا القطاع في تعزيز حكمهم، أما على المستوى الحرفي فقد مارس المجتمع الجزائري مختلف الأنشطة الحرفية سواء في الريف أو الحاضر ضف إلى ذلك سيطرة النقابات الحرفية والمهنية على الحرف وعملهم في المحافظة على الأصول الموروثة للحرف مما شكل عائقا أمام تطورها تسبب في ضياعها أمام المنافسة الخارجية. أما بالنسبة للتجارة فقد لعبت الأسواق دورا مهما في تنشيط التجارة الداخلية مما سمح للإدارة بتحقيق عدة أهداف سياسية واقتصادية منها إخضاع القبائل الصحراوية الجبلية الممتعة.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج1، المرجع السابق، ص 294.300.

وأخيرا إن الجزائر كانت تزخر بحشد من العلماء إلا أن الاضطرابات والفتن التي عرفتها البلاد في بعض الفترات قد أرغمت بعضهم على الهجرة مما جعل أبناء وطنهم لم يستفيدوا من علومهم ومعارفهم.

سنتحدث في هذا الفصل عن الاحتفالات الشعبية والدينية بحيث وجدنا أن للجزائريين طقوسا متعددة في مختلف المجالات وعند مجيء العثمانيين ابقوا على هذه المناسبات بالإضافة إلى إستحداث مناسبات أخرى.

كما أن انتشار العديد من الخرافات والبدع في الأوساط الشعبية بل وصلت إلى حد الاعتقاد بها وتوارثتها الأجيال عن بعضها البعض وأصبحت لها طقوس تمارس عندما يحين موعدها مثل الوعدة والاحتفال برأس السنة الميلادية.

المبحث الأول: الاحتفالات الشعبية.

حظيت الاحتفالات الشعبية في الجزائر خلال العهد العثماني باهتمام كبير ولها طقوس خاصة في كل مناسبة، ففي بعضها نجد انتشار بعض البدع والخرافات التي انتشرت في الأوساط الشعبية حتى صارت عرفا له مميزاته بطقوسه الخاصة ويحتفلون بها في أوقات معينة حسب وقوعها وهذا ما سوف نتعرض له باستعراض بعض المناسبات.¹

1 الاحتفال برأس السنة البربرية يناير:

في هذه المناسبة تقام احتفالات شعبية باهرة تصاحبها بعض الاعتقادات تشبه الى حد القول بالخرافة علاوة على ذلك فالاحتفال بشهر يناير ليس احتفالا دينيا وانما جرى به العرف وتعود عليه الناس في كل سنة شمسية ويدعونه النايير او رأس العام فيحتفل بالسنة الجديدة يومي الثاني عشر والثالث عشر من شهر جانفي ويسمى اليوم الأول يوم نفقة الكرموس والثاني يوم نفقة اللحم ففي اليوم الأول تعجن الأمهات لأولادهن قرصا من الخبز و تثبت فوق كل قرصة بيضة².

كما أن للآباء في هذا الاحتفال نشاط أيضا حتى تكتمل فرحة الاسرة الواحدة ويتمثل دور الإباء في شراء الثمار اليابسة من كرموس وتمر وزبيب وجوز ولوز ورماني وتفايح.....الخ،

¹ محمد بن رمضان شاوش ، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية ،ط1، الجزائر ، 1995، ص 378.

² محمد أرزقي فواد ،أزفون تاريخ وثقافة ، دار الأمل للطباعة والتوزيع ،ط1، د م ن ، 2003 ، ص 243.

وفي المساء يقام عشاء بالفطائر المغمسة في العسل والثمار اليابسة، اما الثمار اليابسة التي يدعونها قشقشة، كما يذهب الأطفال في اول يوم من العام بأفئعة الى البيوت ويطلبون فواكه بأشعار غنائية¹.

2 الاحتفالات العائلية (الزواج، مولد الأطفال، الختان):

الاحتفالات العائلية ليست مثل كل الاحتفالات فلها طابعها الخاص ولها خصوصيتها وطقوسها المقدسة في كثير من العائلات الى حد اليوم فبعض الطقوس الممارسة تعد ركنا أساسيا في أداء مراسيم هذه الاحتفالات إن حدث إن سقط هذا الركن يلام في ذلك الفرد من طرف المجتمع لان العادات المتوارثة جيلا عن جيل تصل الى حد القدسية وإلى جانب الأعياد الدينية يحتفل الجزائريون و الاترك بأعياد عائلية بمناسبة الزواج و ازدياد المولود و حفلة الختان.

أ - احتفالات الزواج:

إن بناء المجتمع السليم يرجع الى النواة الأولى لتكوينه، وهي الاسرة التي تبنى على الزواج وحسب ما نقلته الروايات التاريخية فقد انتشرت في الجزائر العثمانية الزواج بين الأقارب وقد كان الزواج يتم عبر طريقة شائعة تتمثل في التوسط عن طريق العلاقات النسوية والنساء الجزائريات غالبا ما يلتقين في الزيارات المتبادلة في المنازل او في الحمامات العمومية التي يترددن عليها كثيرا ففي هذه المناسبات تلتقي القرية بالقرية والصديقة بالصديقة عدة ساعات متوالية مما تسمح هذه الجلسات في جذب اخبار الارتباط بالزواج².

ويسبق حفلة العرس الخطوبة التي تقع بدار احد الطرفين المتصاهرين او زاوية او مقهى، واثّر الخطبة يتفق الطرفان على تاريخ حفلة الأملاك³.

¹ محمد بن رمضان شاوش ، المرجع السابق، ص 378.

² فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط2 ، 1980 ، ص 95.

³ وهي حفلة الزفاف

ويتم بعد ذلك الاتفاق على مقدار المهر الذي يقدمه الرجل للفتاة عن طريق أبيها و الى جانب هذا المال ترفق مطالب أخرى معه، وقد ذكر وليم سبنسر في هذا الصدد ان حفلات الزواج الجزائرية لم تكن فقط مناسبات للعائلات كي تفتخر بثروتها او كرمها لبناتها بصادق فاخر، وفي يوم محدد يذهب الاب مع ابنته والعريس الى القاضي فيكتب هذا الأخير اسميهما فيتم العقد وتشتري العروس بالثمن لباسها وتبتاع ما تحتاج ايه من أثاث وأداة التي تحملها الى العريس يوم الزواج¹.

ويصاحب هذا اليوم المقدس لكلا الزوجين طقوس عديدة نجدها تختلف من رواية الى أخرى حسب اختلاف المناطق غير ان إحياء هذه المناسبة كان يدوم سبعة أيام و لكن المراسم الفعلية للاحتفالات كانت تدوم يومين فقط وغالبا ما يكون يوم الأربعاء و الخميس². وفي اليوم الموالي تقام الولائم في كلا البيتين، فيذهب العريس مع أصحابه عند الحلاق وبعد تناول الغداء بدار الزوج يقضون عشيتهم في الحمام الذي يكون خاصا بهم اما بدار الزوجة فتتمثل الوليمة عند اهل تلمسان بطعام يسمى المرقة بالعسل، إضافة الى الشاي والقهوة وما طاب من الحلويات وبعد هذا اليوم يقام يوم آخر غالبا ما يكون اليوم الخامس او السلبع يسمى يوم حفل الشد . شد المحزم . و يدعى لهذا الحفل عادة الأقارب فقط³.

ويشترط على الزوجة بعد حفل الزواج البقاء لمد أسبوع كامل لا يسمح لها بالخروج ولا بممارسة أي عمل من اعمال المنزل وتفرض عليها بعض القيود كأن لا تقوم من مقامها إلا برفقة أحدهم بل حتى كلامها يكون بمقدار، وبانقضاء الأسبوع يرفع عنها الحجر ويسمح لها بالعودة الى حياتها الطبيعية⁴.

¹ فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق، ص 41.

² أحمد مريوش ، المرجع السابق، ص 226.

³ نفسه ، ص 227.

⁴ عائشة غطاس، المرجع السابق ، ص 147.

وإذا ما نظرنا الى كيفية الزواج للرعاة التي تكون نمط معيشتهم قائمة عن حياة الترحال بحثا عن الماء والكأ وعندما يرغب شخص من هؤلاء ان يتزوج فإنه يسوق عددا من القطعان الى الكوخ حيث يقيم والدي عشيقته وتوضع على ظهر فرس متجهة الى منزل الزوج وسط هتافات جمع غفير من الناس المدعوين الى حفل الزفاف¹.

هذه لمحة مختصرة عن اهم الطقوس الممارسة في حفل الزواج في بعض البلاد الجزائرية خلال القرن العثماني فمن الصعب جمع كل الطقوس نظرا لشح المادة الخبرية في ذلك، إضافة الى اختلاف الواقع فيما فيها من جهة الى أخرى كما هو موجود الى يومنا هذا، وبعد تتبع لبعض مراسيم الزواج نجد الكثير منها متوارث الى حد اليوم مثل تخصيص يوم الأربعاء والخميس للزفاف، حفل الحزام وزف العروسة الى بيت الزوجية بموكب زاهر، والولائم وبعض الأطعمة، فبعض الطقوس تناقلتها الأجيال عن بعضها البعض الى ان صارت من التراث الشعبي².

ب - الاحتفال بالمزود (المولود الجديد):

يعد يوم الولادة بشرى سارة كبرى في العائلة، فتشير إحدى الروايات التاريخية ان المرأة لو وضعت مولودها تسرع العائلة لذبح دجاجة إذا كان المولود ذكرا والديك إذا كان المولود انثى وتقوم القابلة بدق مسمار في الموضع الذي وضع فيه الطفل بهدف إبعاد الأذى والشرور عنه، وفي اليوم السابع تذبح شاة خصوصا إذا كان المولود ذكرا وقبل ذبحها يجب على الاب ان يقدم صدقات للمساكين، كذلك اذا كان المولود الجديد ذكرا يجب على الاب ان يظهر فرحته فوراً بعد الازياد من خلال طلقة بارود و يدعو الحمد لله³.

¹ حميدة عميراي، الجزائر في أدبيات الرحلة و الأسر خلال العهد العثماني، دار الهدى، د ط، الجزائر، 2003، ص 90.

² حلومي عبد القادر علي، المرجع السابق، ص 265.

³ محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 380.

كانت فرحة الاسر كبيرة عندما يبشرون بولادة ذكر حيث أعطت لهذه البشرى أمسية اكبر من ولادة الاناث ولعل ذلك يرجع الى كون الذكر يعيد عز الاسرى والذي سيحمل اسمها مستقبلا وبذلك كانت بعض السر تنذر النذر لكي تتجنب الذكور.

تقام لهذه المناسبة حفلة فتأتي النساء وتقدم الهدايا للمولود وأمه النفساء ويدعون لها ولمولودها بالصحة والعافية وطول العمر كما يستدعى الرجال لتناول الغداء أو العشاء¹.

وفي اليوم السادس من الولادة تخضب إحدى أيادي او ارجل المولود بالحناء ويدعون ذلك بيوم الفاطات وبعد مضي أسبوع يؤتى بشخص يشترط ان يكون اسمه احمد او محمد ليؤذن في أذن الطفل اليمنى ويلفظ الإقامة في اليسرى ويلبس الطفل ولأول مرة منذ ولادته ملابس جديدة ويمنح له إسما، وفي العادة المولود الأول يسمى على اسم جده لأبيه اذا كان ذكرا وعلى اسم جدته لأبيه ان كانت انثى، ويصحب هذا اليوم حفل صغير يحضره الاهل والجيران ويوزع فيه الفول².

يتضح ان تطبيق السنة النبوية هو الغلب على هذه الطقوس مثل ذبح العقيقة في اليوم السابع وتسمية المولود، وتأذين والإقامة من السنة التي تكون حين ولادته ولكن تؤجل الى اليوم السابع، وصارت عندهم من التقاليد النابعة من الشريعة³.

ج . الطهارة (الختان):

جرت في الديانة الإسلامية بأن الطفل المسلم يجب ان يؤدي الطهارة قبل بلوغ سن عشر سنوات ويدعى الرجل الذي يقوم بهذه العملية البشار كما يطلق عليه لقب الحجام وما هو برجل دين، يكافؤه الأثرياء بهدية لا تزيد عن ثمانية بوجو في حين الفقراء يختن أولادهم مجانا اما أبناء البادية يختنون على يد المرابط⁴.

¹ هاينريش فون مالتسان ، ثلاث سنوات في شمال غربي في إفريقيا، تر أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

، د ط ، الجزائر ، 1880 ، ج 3 ، ص 122.

² أحمد مريوش ، المرجع السابق ، ص 227.

³ أبو العيد دودو ، المرجع السابق، ص 122.

⁴ هاينريش فون مالتسان ، المصدر السابق ، ص 122.

وتقام بهذه المناسبة حفلة صغيرة تدعى لها النسوة والاحتفال يكون بالطبول والبناويل عند الوصول الى المعين تعلن طلبة البارود عن عودة النساء، عندما تدخل المجموعة يتم اطلاق سلسلة من قذائف البارود التي تقابلها زغاريد النساء وتزداد الموسيقى اثناء حدوث عملية الختان، كما تزداد في ذلك الزغاريد ثم يتناول كل المدعوين طعامهم وهذا ينهي الاحتفال، واثناء هذا اليوم يدعو المصلون الله بأن يبارك هذا العمل اما عرب الريف فالختان بالنسبة لهم حفلة دينية اكثر منها دنيوية .

فاعتبرت عدة اسر ان الختان هو العرس الأصغر للطفل و العرس الأكبر هو يوم زفافه ، و هي عادة مازالت اثارها الى حد اليوم فتقام بعض الاسر شبه عرس لها¹ .

د- الامسيات و السهرات :

لم ينتظر افراد المجتمع الجزائري حلول مناسبة لكي يعبر الواحد منهم عن فرحته او يجدد مزاجه بها حتى يفرغ من نفسه العديد من المكبوتات التي كثيرا ما تزول الا بالأمسية او سهرة غنائية التي تنزع عليه كل ما علق به من توترات او ضغوطات العمل المتراكمة لذا فان الناظر الى المباني العمرانية في الجزائر يجد ان هناك العديد من المباني التي قد يلجا اليها هؤلاء مناجل التنزه واخذ الراحة والتجديد². وبعبارة أخرى نستطيع ان نقول انه المكان الذي تتنفس فيه الصعداء لعديد من الافراد الذين أنهكهما التعب كما يلتجئ اليها أيضا المارة أو الأجانب باعتبارها أماكن العامة.

التي تلتقي فيها طبقات المجتمع دون تميز انها المقاهي العربية والحمامات والبيوت العربية التي حظيت باهتمام والتوافد واقبال كبير من المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني خاصة المقاهي و الحمامات³.

¹ عبد الرزاق ابن حمدوش الجزائري ، رحلة ابن حمدوش الجزائري المسماة " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب و الحال ، تق أبو قاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الطبع المتعددة ، د ط ، الجزائر ، 1983 ، ص 118.

² أحمد سليمان ، تاريخ النظم الجزائرية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، د ط ، 2007 ، ص 54.

³ أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ، المرجع السابق ، ص 167.

من عادة الرجال ان يكون مكان تجمعهم المفضل غالبا في المقاهي التي كانت واسعة الانتشار في ذلك العهد، فكانت أماكن للأنس والطوب كما لا يخلو منها الجلسات التي يناقش فيها القضايا الدولة خاصة السياسة ففي هذه المقاهي روادها القهوة ويدخنون الغليون ويلعبون الشطرنج ويتبادلون مختلف الأحاديث فيما نقل الاخبار وتعد الاتفاقات والمشاريع، انه مكان دون أهمية بالغة في التاريخ الأمم في يومنا هذا¹.

لا تخلو هذه المقاهي خاصة الكبير منها من الموسيقى خلال أيام الأسبوع فتتكون الآلات التي يسمعونها الفنانون الجزائريون من الرباب والنايات والغيتارات المختلفة والطار². تقع كثير المقاهي العربية في شارع الديوان قرب مسجد كتشاوة ويتردد عليها كثير من الأوروبيين نظرا لجمال مقاهيها التي تأخذ شهرتها بأفضل عازفيها ومطربيها هكذا الرجال يقضون اساسياتهم اولوياتهم كما هو موجود في وقتنا الحالي فالمقاهي العربية في الجزائر العثمانية تفتقر الى الدراسات العميقة التي تكشف عن أدوارها المتعددة في المجتمع³.

لم يحتقر النساء أنفسهن أيضا في هذا المجال الممتع بالنسبة لهن فبالرغم من العادات التي تقيدن بها التي تتمثل في عدم الخروج من البيت الا عند الحاجة فقد خصصن لأنفسهن اوقاتا وأماكن يجتمعن فيها بقصد التنزه والترريح عن النفس كما يفعل الرجال في المقاهي، فيجتمع النساء العاصميات غالبا في البيوت العربية ففيها يلتقي عددا معتبرا من النساء ويجلسون على شكل حلقة⁴.

¹ أحمد سليمان ، المرجع السابق ، ص 70

² لخضر عبدلي ، التاريخ السياسي و الحضاري لدولة بني عبد الواد ، ابن نديم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 1 ، 2011 ، ص 204

³ محمد بن رمضان شاوش ، المرجع السابق ، ص 374.

⁴ أحمد سليمان ، المرجع السابق ، ص 64

المبحث الثاني: الاحتفالات الدينية.

تتميز الاحتفالات الدينية بمكانتها الخاصة في مختلف المجتمعات، فهي متجذرة في المجتمع منذ نشأته، فهي متجذرة في المجتمع منذ نشأته، تعود الى عمق التاريخ والى حياة الانسان البدائية، ان الاحتفال بالأعياد الدينية وما يصاحبها من شعائر وطقوس دينية هي بمثابة إعادة بعث للدين وابقائه حاضرا في حياة الناس وتثبيتته كعادات يومية او دورية بفعل عوامل التعزيز والتكرار والتدعيم، ولولا تلك الطقوس والشعائر والأعياد المختلفة لاختفى الدين من حياة بعض الناس تماما، و لقد أصبحت هذه المناسبات اليوم تؤدي وظيفة اجتماعية تتمثل في التواصل العام بين الافراد وتعزيز العلاقات الاجتماعية. وتنقسم الاحتفالات الدينية الى الاحتفالات الدينية العامة والخاصة، لكن سنكتفي بوصف العامة لكن سنكتفي بوصف العامة بكونها تخص أمة كاملة يربطها دين واحد وسنخصص بذكر المجتمع الجزائري وكيفية احتفاله بها.

1- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

يعد الاحتفال بالمولد النبوي الشريف من الاحتفالات الأساسية الهامة التي يعطيها افراد المجتمع أهمية كبرى فهو يمثل احدى المظاهر الدينية الكبرى وقد جاء في الكتابات التاريخية ان الاحتفال به يبدأ منذ بزوغ هلال شهر ربيع الأول ، ففي تلمسان جرت عادة الاحتفال بالمولد النبوي مع بزوغه، اذ يصعد نساء تلمسان على السطوح ويزغردن عند مشاهدته، وفي الأيام الموالية يخرج البنات اللاتي هن من دون سن البلوغ أفواجا وينشدن بأصواتهن الانشودة التالية :

أمولود أمولود هذا مولود النبي و الملائكة في السماء يفرحوا بأولاد النبي
أسعدي من شاف النبي يعطينا اماراته عينه كحلا مهذبة و الشوشة واتاته¹

¹ - عبد الرزاق ابن حمدوش الجزائري، المرجع السابق، ص 120.

اما الرجال فانهم يجتمعون بعد صلاة العصر او المغرب حول جماعة من الطلبة الذين ينشدون بأصوات وكلمات منظومة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ العروسي¹، وتدوم الصلاة على النبي ساعة كاملة او ما يقاربها².

وفي اليوم الحادي عشر يدعى يوم النفقة الولي فإن البنات المراهقات يلبسن احسن ما عندهن من ثياب ويتحلين بأنواع الحلوى المختلفة ويتجولن في الازقة والطرقات ليثرن اعجاب من يود خطبتهن، وقد تكرر تلك الزينة يوم السابع الذي يدعى يوم الثاني للنفقة فيعد فيه طعام الثريد واليوم الثاني الذي يدعى يوم التشويشة الذي يخرج فيه الرجال متجهين الى ضريح الشيخ ابي مدين شعيب وهم يذكرون الله بأصوات عالية ذهابا و إيابا مما تثير اعجاب المارة خاصة مما كان منهم ضرب الطبول والمزامير في الطرقات إضافة الى الألعاب البهلوانية وفي وسط الطريق كان ينزل باعة الحلويات ويدور حولهم الصبيان لشراء ما يلذ لهم منها³، اما في ليلة الثاني عشر والتي تسمى ليلة الزيادة فيقومون بالاحتفال ويعظمون المولد بالذبائح كما يستعملون الطبالين والعياطين وآلات الطرب في السوق كما يقومون بإشعال الشموع المثبتة في الثريات والنساء يزغردن عليها ساعة من الزمن ثم يتناولون الأطعمة اللذيذة، ويتم إنشاد القصائد المختلفة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم تتخلل تلك الأناشيد تلاوة القرآن الكريم ودروس السنة النبوية والوعظ والارشاد و يبقى الاحتفال الى غاية طلوع الفجر⁴.

هذه لمحة مختصرة عن كيفية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف التي ما تزال بعض العادات والتقاليد متوارثة الى يومنا هذا فمثلا اكلة الطمينة ما تزال النساء يصنعها صبيحة

¹ هو بركات بن أحمد بن محمد العروسي القسنطيني وكان كاتباً لدى الباي وحدث له موقف مع أحد عامة الناس أشعره أنه ظالم فتألم ، وجعل بدايتها تأليف هذا الكتاب " وسيلة المتوسلين بفضل الصلاة على سيد المرسلين." انظر : هاينريش فونز مالتسان ، المصدر السابق، ص 117.

² لخضر عبدلي ، المرجع السابق، ص 219

³ محمد بن رمضان شاوش ، المرجع السابق، ص 374.

⁴ عبد الرزاق ابن حمدوش الجزائري ، المرجع السابق، ص84.

المولد الى يومنا هذا ووصلت الى درجة السنة في اعتقادهم، كما سجل التاريخ طقوس البذخ والترف في هذه المناسبة خاصة في المشرق العربي والتي ما تزال الى حد الساعة علما ان علماء الدين انكروا هذه الاحتفالات و اعتبروها بدعة .

2-الاحتفال بحلول شهر رمضان:

يعتبر شهر رمضان شهر البركة والرحمة والايمان والصيام ففيه فضائل جمة جعلت من افراد المجتمع يأخذون كل ما أتيح لهم من عدة لاستقبال الشهر قبل حلوله بعدة أيام ففيه تصفى النفوس من كل أنواع الحقد والبغائض والكراهية، هكذا كان رمضان في المجتمعات السابقة وكذا اليوم و حتى في الغد .

وعليه فقد شكل رمضان مناسبة دينية هامة اكتست طابعا اجتماعيا في الجزائر العثمانية ولعل اقدم وصف لاحتفال الجزائريين بحلول هذا الشهر هو الذي تركه لنا هايدو الذي لاحظ سنة 1580 م تمسك الجزائريين بصيام هذا الشهر اذ ان الصوم له أهمية كبيرة عندهم حيث لا يأكل أي احد عندهم سواء كان مريضا او طاعنا في السن او النساء الحوامل، إلا بعض الكفار او غير المسلمين فيأكلون في الخفاء خشية العقاب¹.

حتى أصحاب الزوايا ولو كان بهم مرض او على سفر ولو ان الدين يسمح لهم بالأكل فهم يصومون ثلاثة أشهر في السنة رجب وشعبان ورمضان مع العلم ان الائمة يؤكدون انه من صام هذه الأشهر ذهب الى الجنة وفتحت له أبواب الخير وشبه لنا احد الكتاب الغربيين ذلك الشهر بعيد الغفران عند اليهود وان الصوم عندهم لا يقتصر عن الامتناع عن الاكل والشرب فقط وانما يشمل أشياء أخرى تخص جوانب الحياة².

يتم الإعلان عن شهر رمضان عند رؤية الهلال فيطلقون طلقة من المدفع تطلق من القصبة في قصر الداوي وحصون المدينة، بحيث يبدأ الإمساك في الثالثة صباحا بعد صلاة الفجر فينقطعون عن الاكل والشرب ولا يضعون الماء عند افواههم عند الغسل ولا يدخلون

¹ هاينريش فون مالتسان ، المصدر السابق ، ص 54.

² أبو العيد دودو ، المرجع السابق ، ص 116.

ويتحرزون من شم الورد وكثيرا ما يرفض المريض تناول الدواء وإذا ارغمهم المرض عن الإفطار فإنهم يصومون تلك الأيام فيما بعد وفي الساعة السادسة مساء يعلن عن الإفطار بطلقة مدفع وقبل هذه الطلقة يخرج بعض افراد الاسر ينتظرون الطلقة، و بما انهم يشعرون بالجوع في النهار فانهم يأكلون حتى يشعرون بالتخمة¹.

ووصفت بعض الكتابات التاريخية طريقة الاكل عند العائلات الجزائرية في هذا الشهر وتنوع الاكلات مثل الكعك والحلويات والكسكسي بالزيت يضاف اليه اللحم المقلي والفواكه والمشلوش والبوراك والزلابية والبقلوة².

أستغل شهر رمضان لأداء العديد من النشاطات من غير الصيام حيث انه في وسط شهر رمضان يقوم المسلمون وخاصة الاتراك وغير المسلمين من أصحاب اهل الذمة بصنع جمال من القش والخشب ويلفونها بالحايك حتى تصبح تشبه الجمال الحقيقية ويتجهون الى قصور الأغنياء ورجال الدولة المهمين ويلعبون ويغنون و يرقصون فيما يسمى اليوم بالألعاب البهلوانية .

كما ان هناك محل آخر يحظى بعدد كبير من الزوار في ليالي رمضان و هو المسرح الشعبي و من بين الشخصيات الناطقة شخصية القرقوز³، الذي يمتاز بضخامة جسمه و منظره المضحك .

كما ان الحفلات التي تقام لا تتسم بالصخب والضوضاء، فلا يوجد مكان للراقصين والراقصات ولا للموسيقى الا نادرا، فهذه الحفلات تقتصر على تناول الأطعمة و تبادل اطراف الحديث⁴.

¹ أحمد سليمان ، المرجع السابق ، ص 73

² عبد الرزاق ابن حمدوش ، المصدر السابق ، ص 122.

³ قبو مظلم يحتشد فيه عدد من الأهالي ويجلسون فوق الأرض وأنظارهم متجهة إلى الشاشة حيث تظهر أشكال سوداء ناطقة التي تشبه خيال الظل الصيني في أوروبا على قطعة من الورق مشبعة بالزيت. انظر هاينريش فون مالتسان ، المصدر السابق، ص 98.

⁴ هاينريش فون مالتسان ، المصدر السابق ، ص 65.

أمام هذه الأجواء والامتناع عن ملذات الحياة في وسط النهار وصف احد الاسرى الامريكان ان في شهر رمضان تسود كآبة عامة عند الناس¹.

ومع نهاية الشهر يصعد الاتراك الى تكناتهم كل ليلة ليراقبوا بعيونهم وبشوق نحو الغرب لاكتشاف الهلال الجديد الذي يسمى هلال شوال وينتهي الصوم حال اثبات الرؤية فينغمس الاتراك في فرح مفرط و يطلقون نار الفرحة لظهور القمر الجديد كإعلان لنهاية الصوم².

هكذا يحيون الناس شهر رمضان بتعدد النشاطات واختلاف الطقوس من بقعة الى بقعة وكثيرا ما يميزه السهرات في المقاهي التي تصاحبها من حين الى آخر آلات الطرب والموسيقى وما يعاب هنا وعلى الكتابات التاريخية غياب أي أنشطة ثقافية تمارس خلال الشهر الفضيل .

3- الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى:

بعد انقضاء شهر رمضان والطقوس الاحتفالية التي صحبته وكذلك الشعائر التي تليت في ليلة القدر وغياب رؤية الهلال وبزوغه من جديد يحل العيد، ففي المناسبات الدينية عيدين الفطر والأضحى فلهما أهمية بالغة عند الجزائريين في العهد العثماني حيث كانا يمثلان مناسبة اجتماعية كبرى يحتفل بها لعدة أيام.

وكانت هذه الأعياد تدعى البيرم وهي كلمة تركية الأصل الخاصة بالعطل الدينية فمنها الاحتفال بالعيد الصغير الذي يأتي بعد لاحتفال برمضان، كذلك عيد الأضحى وهو اكبر الأعياد ويطلق عليه قربان بيرامي أو بيوكبيرامي ومعناه هو عيد المسلم الكبير للتضحية.

أ- الاحتفال بعيد الفطر:

بعد ثبوت رؤية الهلال ثبوتا شرعيا يخرج الناس زكاة فطرهم، وفي اليوم الأول من العيد يذهب الناس لأداء صلاة العيد بالمساجد، بحيث ان القاضي يكون في اول الصف و

¹ عبد الرزاق ابن حمدوش ، المصدر السابق ، ص 126.

² أبو العيد دودو ، المرجع السابق ، ص 120.

بجانبه الباشا، بعد الانتهاء من الصلاة فإن الامام يحثهم في خطبته عن على اتقاء الله و شكره، واعداء إياهم بالخير في الدنيا وتوبة الله في الآخرة ثم يقع التغافر والتزاور بين الأقارب فإذا زار احد دارا من دور اقربائه تقدم له الحلويات مثل الكعك والمقروط و الصامصة والقريوش و الغريبة المصحوبة بالمشروبات من الشاي والقهوة¹.

وتصنع هذه الحلويات في الأيام الأخيرة من شهر رمضان ويتوجه أصحاب الطرق في اليوم الثاني والثالث لزيارة الاضرحة، ويرتدي الأهالي أيام العيد الثلاثة اجمل ما لديهم من البسة بحيث يرتدي الأطفال في هذه الأيام الثياب المطرزة بخيوط الذهب و الفضة، والسراويل المصنوعة من الصوف او القطن مما يجعل منظرهم في منتهى الروعة، اما النساء والفتيات المحجبات فلا يقل عددهن في الشارع صبيحة العيد عن الرجال وفي الشوارع يعانق الرجال معارفهم وبرش الأطفال الأوروبيين بماء الورد كما يقضي الأطفال يومهم في اللعب بباب الواد².

وفي هذه المناسبة ينظم الباي حفلة عشاء تعزف خلالها الموسيقى، وفي يوم العيد يستطيع كل انسان ان يدخل الى قصر الباي لكي يهنئه، وفي الساعة التاسعة صباحا يترك الباي قصره بصحبة مماليكه ودقات الطبول تتعالى فتطلق سبع طلقات نارية تحية للباي³. وفي خارج المدينة يجلس الباي فوق مخدة في رحبة واسعة وتبدأ سباقات الخيول التي تصاحبها انغام الموسيقى وبعد ذلك يوزع الباي الهدايا على خدامه وحراسه و لاهسن الفرسان، اما الأطفال فتقام لهم الاراجيح والخيام ويشربون عصير الليمون و البرتقال مجانا الى غاية الساعة الثانية مساء ثم يعود الباي الى المدينة ويصدر العفو عن الاسرى⁴.

¹ وليام سبنسر، المرجع السابق ، ص 100.

² محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق ، ص 377.

³ هاينريش فون مالتسان ،مصدر سابق ،ص 118.

⁴ محمد بن رمضان شاوش ،مرجع سابق ،ص 381.

وبعد ثمانية أيام من الاحتفال أو ثلاثة على الأقل يمتطي الرجال والشباب الاحصنة يلعبون بالقصب ويجتمع عامة الناس للرقص لكن العرب والأتراك لا يأتون لهذه التجمعات لانهم يرفضون الرقص في الأماكن العامة¹.

اما المسيحيون فإنهم يذرفون الدموع كي يخفف الله غضبه عليهم، ويرتدون اقنعة لتمثيل عدة شخصيات ويرقصون ثم يرمون حبات التفاح بالرماح ويلعبون بعض الألعاب السحرية البهلوانية ممتعين المسلمين².

ب - الاحتفال بعيد الأضحى :

يقع عيد الأضحى في العاشر من ذي الحجة واليوم الذي قبله أي التاسع من الشهر هو عرفة، الكثير من الناس يصومونه وتخرج فيه بنات المساكين لسؤال الصدقة³. وفي هذا العيد يتم ذبح الخرفان، واكل لحومها بصفة فردية او جماعية بحيث يحي المسلمون هذه المناسبة إجلالا لذكرى تضحية إبراهيم بالخروف بدل ابنه إسماعيل تقربا من الله تعالى .

وفي صبيحة يوم العيد الكبير تطلق المدفعية طلقات الاحتفال الذي يدوم ثلاثة أيام في المدينة وسبعة أيام في القرى، ففي يوم العيد وبعد الصلاة والخطبتين يقوم الامام بذبح خارج الجامع الكبير عند باب الضحية ويراه المصلون ثم يذهبون الى ديارهم لذبح اضحياتهم وبعدها يقع التزاور والتغافر⁴.

وذكر هايدو ان النساء يحتفظن بدم الاضحية ظنا منهن انه مقدس، وبعض المسلمين من شدة ايمانهم يطلون جباههم بدم الاضحية ويظنون ان أذن كبش الضحية ينبغي ان تكون طويلة حتى تغطي عينه وإلا بطل نحره، بعد نحره يتصدقون بجزء على

¹ أبو العيد دودو ،مرجع سابق ،ص 122.

² هاينريش فون مالتسان ،مصدر سابق ،ص 134.

³ محمد بن رمضان شاوش ،مرجع سابق ،ص 392.

⁴ هاينسترايت رحلة العالم الألماني : ج.أو . هاينسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145 هـ - 1732 م) ترجمة

ناصر الدين سعيديني دار الغرب الإسلامي ،ط1 ،تونس 2008 ،ص 79.

الفقراء والمساكين ويأكلون الباقي كما يتركون جزءا يستعملونه قديدا بعد تجفيفه في الشمس ويعتبرون هذا شيئا مقدسا، كما انه بعد ذبح الاضحية في وسط الفناء يقطع جزءا منها للشواء مع العائلة ويوزع الباقي على الفقراء¹.

ولصبيحة العيد أجواء رائعة كالعادة حيث يجتمع كل المدرسين مع شيوخهم و علمائهم في المدينة في الجامع الكبير ومنه يتشكل موكب يجوب الشوارع يحمل كل منهما مشعلا في يده ويرددون مديحا دينيا في حق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ويحمل اثنان منهم هرما على اكتافهم محلى بأكاليل من الورد متبوعا بزغار صوتي وموسيقى آلية تبعا للنمط التركي، كما تزين جميع البيوت الواقعة في زوايا الشوارع بقماش النجود وتشعل المصابيح.

الى جانب الاستعراضات يحتفل الأهالي خارج باب الواد ببعض الألعاب خاصة الارجوحة والاحصنة تشبه التي تقام بمعارض فرنسا، كما تزين منارات المساجد بالإضاءات ليلا خلال فترة هذه الاحتفالات وتبقى المقاهي مفتوحة حتى الواحدة او الثانية صباحا².

وفي هذا اليوم أيضا تقدم التهاني للداي في قصره وبعدها تحضر كبار الشخصيات وليمة فاخرة على شرفه، وتنظم بهذه المناسبة مبارزات بين الجنود الاتراك، يفوز بها من يستطيع الإمساك برقبة خصمه وطرحه ارضا، فيحظى بمباركة المتفرجين وتعطى له صرة وهو كيس من القروش³، كما يمارسون أيضا هذه اللعبة يوم الجمعة من غير عيد الأضحى إلا ان الباشا والداي لا يحضرونها الا في العيد فكان يوم الجمعة مبعلا في الجزائر العثمانية فهو بمثابة عيد أيضا فله طقوسه الخاصة فتعلق المدينة أبوابها أيضا عند كل صلاة كما تغلق أيضا جميع الدكاكين نوافذها ومعظم التجار لا يعودون لفتحها بعد الصلاة بل يذهبون في نزعات خاصة مع أهلهم، اما النساء فكن يتوجهن منذ الصباح الباكر الى

¹ محمد بن رمضان شاوش، مرجع سابق، ص 394.

² هاينسترايت، مصدر السابق، ص 79.

³ نفسه، ص 81.

المقابر لزيارة موتاهم، الى جانب حلقات الانشاد الشعر الشعبي حيث يقوم المداخون بقص السير والابحار ومغامرات الابطال والفرسان، وقد شاع في الجزائر حينها شرب القهوة ومضغ الدخان ولم يكن شرب الخمر شائعا عند الطبقات العالية لأنه من المحرمات¹.

4- الاحتفال بخروج ركب الحج و عودته :

يعد الحج فريضة من اهم الفرائض الدينية عند المسلمين وهي في نفس الوقت مناسبة اجتماعية هامة لها خصوصيات في الجزائر العثمانية، وكل المسلمين في العلم لديهم موعد يلتقون فيه لأداء الفريضة².

عندما يحين وقت الحج يقوم الداي باستدعاء المجلس العلمي لمدينة الجزائر الذي يعقد اجتماعا احتفاليا رسميا يشارك فيه وكيل الحرمين الشريفين الذي يسلم للمفتي الى صدقات المخصصة لفقراء المدن المقدسة . مكة و المدينة³.

وقد كانت رحلات الحج غالبا ما يكون فيها أحد العلماء او طلبة العلم إضافة الى أداء الفريضة كانوا يتلقون العلم في طريقهم أينما نزلوا عند شيوخ المدن التي يمرون عليها، كما كانوا يدونون حياة هذه المدن بالتفصيل كما شاهدها كما كانت الرحلات من اهم مصادر التاريخ، ومن اشهر الرحلات العلمية في الجزائر خلال العهد العثماني رحلة الورتلاني⁴ في القرن الثامن عشر التي وصف فيها الحجاز وصفا جغرافيا كما نقل فيها الحياة اليومية والحالة الاقتصادية والمعاشية وأسلوب الحكم والعادات ومستوى الثقافة مما

¹ أحمد سليمان، المرجع السابق ، ص 76.

² عبد الرزاق حميدوش ، المصدر السابق ، ص 130.

³ محمد برمضان شاوش، المرجع السابق، ص 385.

⁴ ولد الحسين بن محمد سنة 1125 هـ 1713 م ببني ورتلان إرتبط بالطريقة الشاذلية ظل ملتزما بحياة الزهد والتقشف متصفا بالجد والعمل والإستزادة من العلوم الفقهية واللغوية ، حج لبیت الحرام ثلاث مرات، توفي سنة 1194 هـ - 1780 م . انظر هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص 125.

زادت هذه الرحلة في مداركه العقلية وعلومه ورحلة أبو راس الناصري¹ الذي أدى فريضة الحج مرتين فكانت رحلته علمية أكثر منها دينية مما التقى بالعديد من العلماء ووصف فيها كذلك البلدان التي اتاحت له الإقامة فيها².

جرت العادة عند الحج يتم تجمع الحجاج في مكان واحد في احد المناطق حيث يودعونهم الأهالي بالدعاء والتهليل حتى تسير القافلة، ثم ينزلون في المناطق الأخرى أين ينتظرونهم حجاجها وهكذا حتى يكتمل عدد القافلة المتفق عليه من قبل وتنطلق الى بيت الحرام، ومن امثلة على ذلك نجد رحلة المصعبي حيث انطلقت رحلته من بني يزقن الى غرداية لزيارة مقام الشيخ حمو، حيث يشيع الحجاج من احد الأماكن المباركة بالدعاء والتهليل ويستقبلون بنفس المظاهر، اما حجاج تلمسان فيخرجون من باب تلمسان ويقومون بزيارة أولياء المنطقة كالسنوسي ثم يصلون الى مدينة الجزائر لأخذ الاذن من اهل الديوان، كما ذكر الورتلاني فإن الحاج بعد الانتهاء من الصلاة يقوم بزيارة اهل البيت والخدام والجيران ومن أتى يودعه ثم يسير الركب، هكذا جرت عادة الانطلاق في معظم بقاع الجزائر³.

اما بعد رجوع ركب الحجاج من البقاع المقدسة فيتوجهون لدراسة الاضرحة مثل ضريح سيدي الداودي بن نصر وسيدي ابي مدين ويقضي ليلته تلك بالضرحة الذي تقام به حفلة مشتملة على تلاوة القرآن وذكر الله واطعام الفقراء وكل من حضر للتسليم على الحاج، كما يصحب الحاج معه هدايا لأصحابه واقربائه ومعارفه على قدر وسعه لإدخال السرور عليهم، وفي الغد تقام حفلة خاصة بالنساء المدعوات وتسمى حفلة الشرق.

¹ هو محمد بن أحمد بن عبد القادر ولد سنة 1737 م وهو أحد اعلام الجزائر في العصر الحديث تميز بنبوغه العلمي والأدبي، توفي سنة 1823. انظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 المرجع السابق، ص 169.

² محمد بزمضان شاوش، المرجع السابق، ص 385.

³ حنيفي هلاي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، ط1، الجزائر، 2008، ص 216.

ومن هذا نستنتج أن للعادات والتقاليد تأثير واضح على ثقافة المجتمع وهي مصدر يستمد منه مثله وآدابه الفاضلة كما أنها تنتقل من جيل إلى جيل وقد أصبح هذا الموروث قوة الالتزام، وتمثل تلك العادات والتقاليد أساس كيان المجتمع ولا يستطيع أي فرد أن يخرج عن تلك الأعراف والتقاليد وهي التي توثق الروابط الاجتماعية بين الأفراد .

إن المورثات في أي مجتمع من المجتمعات لها جوانب حسنة وأخرى سيئة فالجوانب الحسنة هي تلك العادات والتقاليد التي تزيد في الروابط الاجتماعية وتقويتها بين أفراد العائلة وفئة الشارع، وقد اضفت تلك العادات على الناس نوعاً من التجانس والترابط أم الجانب السيء في تلك العادات فهو المغالاة في التمسك بها والإسراف والصرف الزائد عليها والتباهي والتفاخر خاصة في المناسبات والأفراح وهذا ما سبب انتكاسات لبعض الأسر لاسيما الأسر الفقيرة مما جعلها تغرق في ديون لا حصر لها والتي لا قدرة لها على سدها وفي الأخير يمكننا القول أن الأتراك العثمانيين قد أحدثوا بعض التغييرات في جوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية فهناك من الاحتفالات ما كان مستحدثاً، وهناك ما كان موجود من قبل وبعض هذه إلى يومنا .

الخاتمة

من خلال دراستنا للأوضاع الاجتماعية للجزائر في العهد العثماني فقد سعينا من خلال هذه الدراسة الى لقاء أضواء هامة على الوضع الاجتماعي و الثقافي من خلال معالجة أحد أهم أشكال التنظيم الاجتماعي بالجزائر، و انطلقنا من المجتمع في شموليته اذ شهدت التركيبة السكانية في فترة الدراسة تغيرات واضح.

كما يظهر ان الجزائر استقطبت العناصر النازحة من المناطق الداخلية بل اكتسبت جانبا خاصا اكثر فاكثر ف اشتدت الهجرة نحوها خلال العهد العثماني.

المجتمع الجزائري لم يكن مجتمعا طبقيا كما تذكر الكثير من الكتابات الأوروبية، بل إن التفاوت الذي كان موجودا بين فئة وأخرى لم يكن بين طبقة وأخرى كما أن الحال بالنسبة للمجتمعات الأوروبية في العصور الوسطى، بالإضافة الى أن المجتمع الجزائري يتأثر ببعض العادات و التقاليد التركية، حيث أصبحت لها طابعها الخاص، ومميزاتها الخاصة التي تجسدت في أنماط العيش من خلال حفلات الاعراس و حفلات الدينية وكذلك المرافق الاجتماعية كالحمامات والأسواق.

كما تأثر المجتمع الجزائري ببعض العادات و التقاليد التركية خاصة اللباس و بعض الأطعمة و امتزاج الذوق المحلي بالذوق العثماني في الميدان العمراني، ساهم في ازدهار العمارة في الجزائر خلال العهد العثماني.

فقد عجز العثمانيون عن المواكبة التطورات العلمية، فلم ينصرف إلى العلم بسبب انشغالهم بالحروب في الوقت الذي كانت فيه الدول الأوروبية تكتشف في حقول المعرفة هذا ما أدى الى اختلال التوازن بين القوتين الإسلامية و الأوروبية، و تم عزل الجزائر معرفيا على ما يحدث في أوروبا من تطور باعتبار أن الدولة العثمانية ذات طبيعة عسكرية .

إضافة إلى أن التعليم أصبح يعتمد على المبادرة الفردية أو الجماعية للمجتمع

الخاتمة

لم يتم إدماج المجتمع في صلب الفئة الحاكمة من أجل تثبيت مركزه السلطة لدى العثمانيين وهذا ما يبرر لنا إبعاد العناصر القومية عند الطائفة التركية كالكرغلة.

و قد أجمع المؤرخون على أن مصادر الأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني كانت تنتقل من الأقطار المجاورة بسبب صلة الجزائر ببلدان البحر الأبيض المتوسط و انفتاح الجزائر على العالم الخارجي، و نظرا لعدم اهتمام الحكام العثمانيين بميدان الصحة و اعتماد المجتمع الجزائري على الطب التقليدي بدلا من الطب الحديث و عدم اتخاذهم الإجراءات الوقائية الكافية زادت أحوال الصحية سواء حيث انحصرت أماكن العلاج في بعض المصحات و الملاجئ .

حيث اتسمت الأوضاع الاجتماعية بالفوضى و الاضطرابات و تأثرها بالأمراض و الأوبئة و حتى الكوارث الطبيعية، مما أدى الى انعدام الامن الذي ساعد على تخريب المدن و لقد كانت المجاعات و الأوبئة عوارض اجتماعية لا اقتصادية فقط، و كان لها نتائج وخيمة على المجتمع الجزائري و من بينها انتشار الفقر و البطالة، و من جهة أخرى إن عدم اهتمام العثمانيين بالجانب الاقتصادي قد سبب عدد من المشكلات التي أثرت سلبا على الإنتاج الزراعي و الواقع التجاري في نفس الوقت و ارتباط الزراعة بالتجارة المحلية و الخارجية كانت هناك إخفاقات اقتصادية امتدت طوال العهد العثماني .

و رغم كل هذه الأحوال التي مرت بها الجزائر، إلا أن الصناعة كانت أحسن تنظيما في المدن غير أنها لم تعرف تطورا و هذا ما جعل مبادرتها ضئيلة و يمكن ارجاع سبب ذلك الى احتكار الدولة للمواد الأولية كما أدى انغلاق الصناع الجزائريين على أنفسهم الى عدم تبديل الخيرات فيما بينهم مما اثر سلبا على الصناعة .

الخاتمة

أما التجارة فقد كانت تتمثل أساسا في الأسواق التي كانت تعقد في يوم من أيام الأسبوع في الأرياف، و قد كانت كلها تحت مراقبة الإدارة العثمانية التي عرفت كيف تجعل منها وسيلة لإخضاع القبائل الممتنعة و لاستخلاص الضرائب منها .

هذه بعض النتائج التي تمكنا من التوصل اليها من خلال هذا البحث، وأننا نعتبر ما قمنا به من دراسة و ما توصلنا اليه ما هو إلا مساهمة متواضعة في مجال بحث علمي ما زال في حاجة إلى مجهودات كبيرة و مستمرة .

ملحق رقم (01): مأدبة يهودية لحفلة ختان



ملحق رقم (01): مأدبة يهودية لحفلة ختان



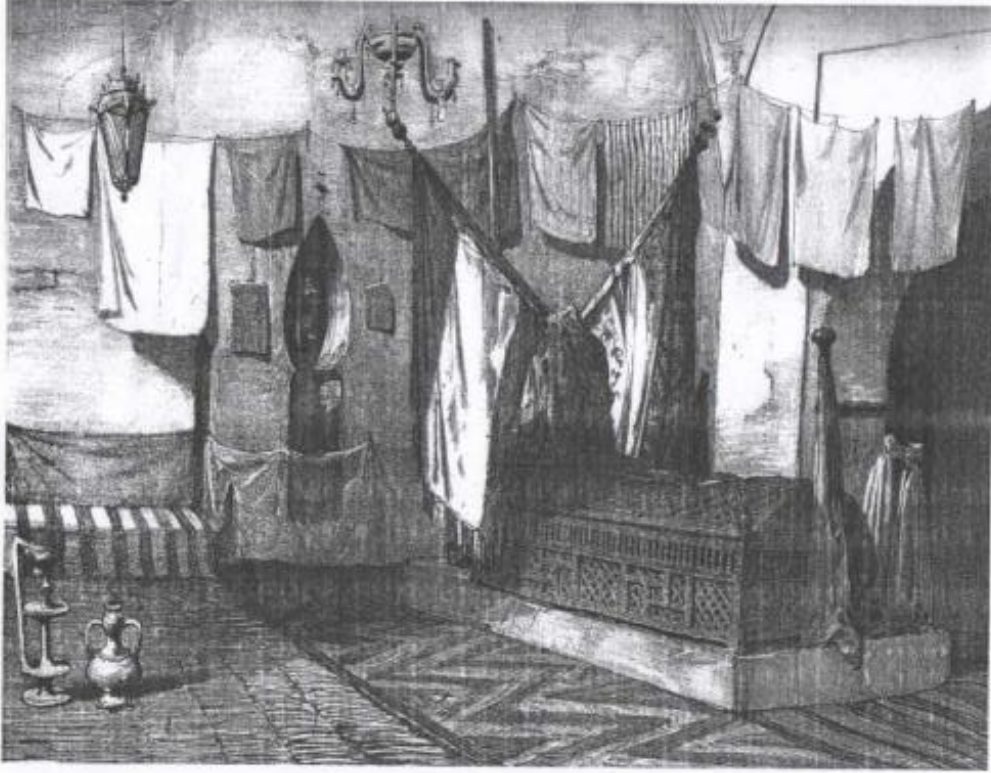
ملحق رقم (03): الرقص الشعبي



ملحق رقم (04): الجامع الكبير



ملحق رقم 05 : ضريح سيدى فرج



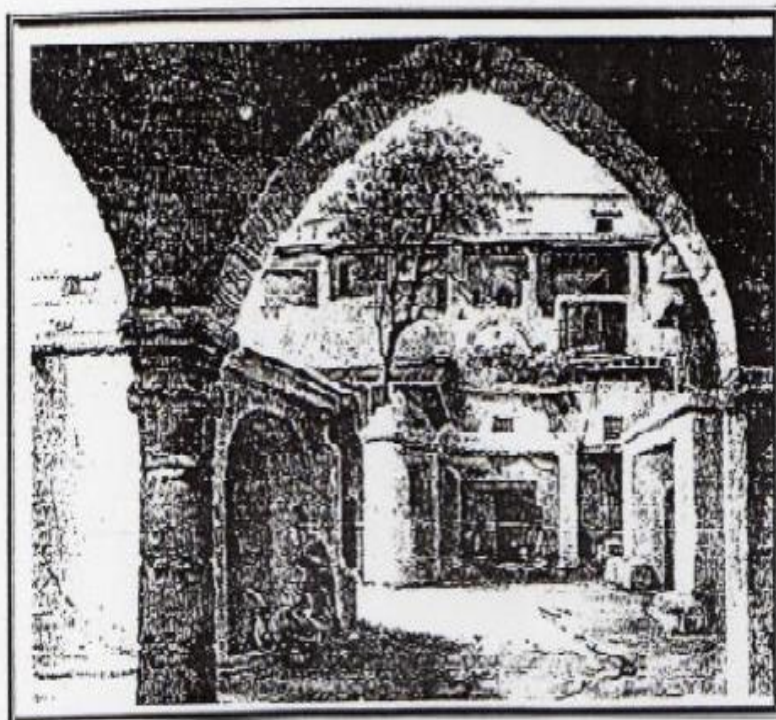
ملحق رقم 06 : الحوانيت في العهد العثماني



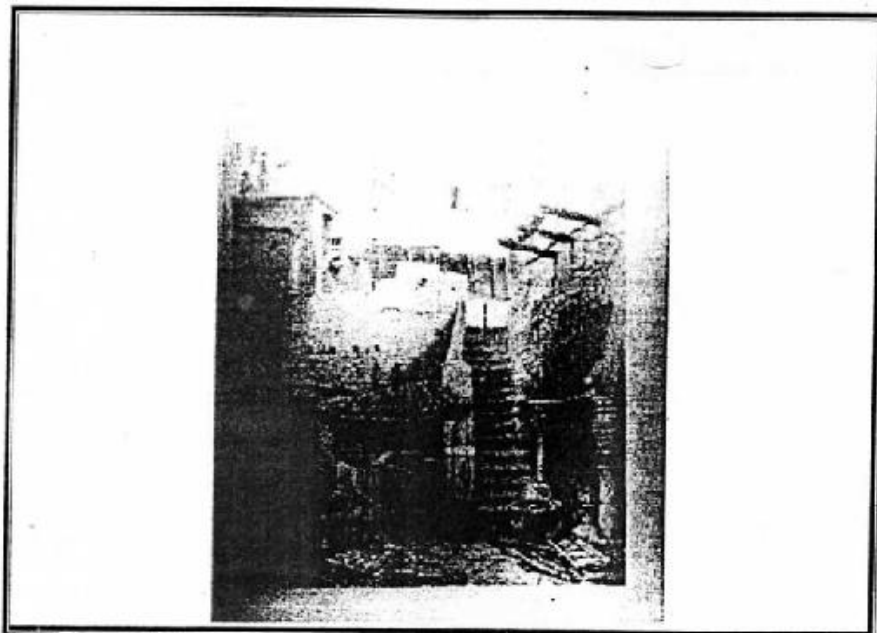
ملحق رقم 07 : مقهى في العهد العثماني



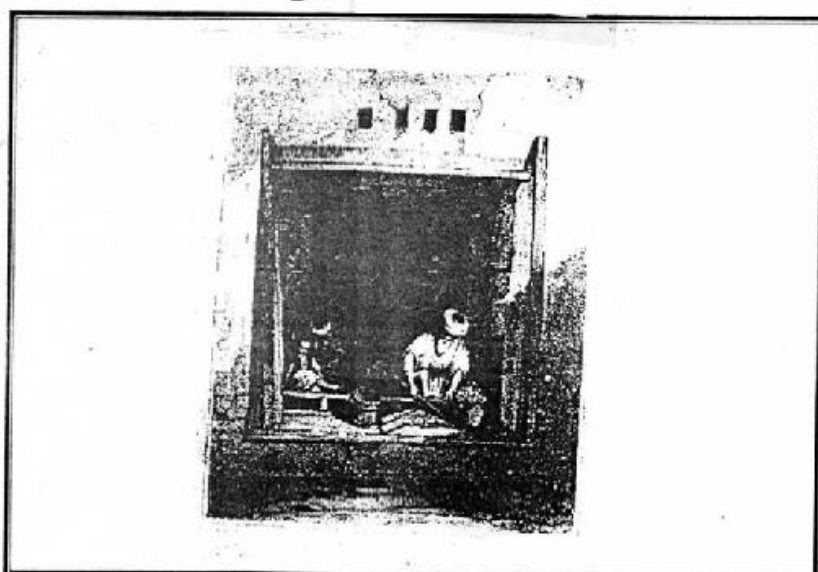
ملحق رقم 08 : الفنادق في العهد العثماني



ملحق رقم 09 : حرفة الصباغ في العهد العثماني



ملحق رقم 10 : حرفة الخراط في العهد العثماني



قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

قائمة المصادر والمراجع:

أولا الكتب :

1- قائمة المصادر:

1. التمعروتي ، التحفة المرضية في السفارة التركية ، نقلا عن مولاي بلحميسي ، الجزائر ، من خلال رحلات المغربة العهد العثماني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1997.
2. ابن حمادوش عبد الرزاق ، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب و الحال ، تق أبو قاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الطبع المتعددة ، د ط ، الجزائر ، 1983 .
3. خوجة حمدان بن عثمان ، المرأة ترجمة محمد العربي الزبيري ،وزارة الثقافة .
4. دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830 - 1855 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، د ط ، الجزائر ، 1989.
5. الزهار احمد شريف ، مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار ، نقيب اشراف الجزائر ، تقديم وتعليق احمد توفيق المدني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974.
6. الناصري أبوا راس ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ،تحقيق محمد بن عبد الكريم المكتب الوطني للكتاب ،الجزائر ، 1996.
7. شالر وليام ، و قنصل أمريكا بالجزائر، 1816-1826، تقديم وتعريب اسماعيل عرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.
8. الطبي أمين ، لمحة عن الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط (إيالة الجزائر) في القرن العاشر هجري و 16 م من خلال رحلتي الحسن بن محمد الوزان وعلي بن محمد
9. عبد الكريم ابن فكون ، منشور الهداية في حال من ادعى العلم و الولاية ، تقديم وتحقيق و تعليق ، أبوا القاسم سعد الله ،ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1987.
10. مجهول، غزوات عروج وخير الدين ، تصحيح وتعليق نورالدين عبد القادر ، مطبعة دروسي قدور ، الجزائر 1934 .

11. ابن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 .
12. هاينريش فون مالتسان ، ثلاث سنوات في شمال غربي في إفريقيا، تر أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د ط ، الجزائر ، 1880 ، ج 3 .
13. هاينسترايت رحلة العالم الألماني، ج.أو . هاينسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145 هـ - 1732 م) ترجمة ناصر الدين سعيدوني دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، تونس 2008 .

2- قائمة المراجع:

1. أحمد باي ،مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة ، وبوضرية ،تحقيق وترجمة،محمد العربي الزبيري ،الشركة الوطنية للنشر ،الجزائر 1982.
2. بن الامير عبد القادر محمد ، تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر ، مطبعة عزوزي،الاسكندرية ، الاسكندرية ، 1903.
3. باشا محمد محمود ،الاستيلاء على إيالة الجزائر (ذريعة المروحة)، ترجمة عزيز نعمان ،دار الأمن للطباعة ، الجزائر ، 2005.
4. بوحوش عمار ، التاريخ السياسي للجزائر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2005 .
5. بوعزيز يحي ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ط 01 ، ج 02 ، ديوان المطبوعات الجزائر ، 1999 .
6. بوعزيز يحي ، موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، ن ط1 ، دار الهدى الجزائر ، 2009.
7. التميمي عبد الجليل ، الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني ، ج 1 ، مركز دراسات و البحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق و المعلومات.
8. جون.ب. وولف، الجزائر وأوروبا 1500 م -1830 م ، ت أبو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
9. الجيلالي عبد الرحمان بن محمد ، تاريخ الجزائر العام، ج4 ، دار الأمة،الجزائر ، 2009
10. حموش مصطفى ، دار السلطان، مقاطعة الجزائر في العهد العثماني ،الإدارة الحضرية و التهيئة العمرانية - ط1،الجزائر، دار البصائر 2009.

11. دياب فوزية ، القيم والعادات الاجتماعية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط2 ، 1980،
12. الزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية في الشرق الجزائري في نهاية العهد العثماني، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1972.
13. زمام نور الدين ،السلطة الحاكمة والخيارات التنموية بالمجتمع الجزائري، دار الكتاب العربي (د.م.ن) 2002.
14. سبنسر ويليام ، الجزائر في عهد رياح البحر ، ترجمة عبدالقادر زبادية ، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر.
15. سعد الله أبو قاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830) الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1997، ج1 .
16. سعد الله أبو قاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954) ط 1 ،بيروت ، دار الغرب الإسلامي 1998 ،ج5 .
17. سعد الله أبو قاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ج 1 ، ط 1 ، 1998.
18. سعد الله شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، داعية السلفية، ص 23 ، ط 1 دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1986.
19. سعدالله ابو القاسم ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الإحتلال) ، ط 02 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الجزائر ، 1982.
20. سعدالله ابو القاسم ، محاضرات في تاريخ الجزائر، بداية الإحتلال، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 03.
21. سعيدوني ناصر الدين ،،ملكية الأراضي بالجزائر أواخر العهد العثماني وتأثيرها على البنية الاجتماعية بالريف ، ط1 ، د.م.ج-الجزائر 1983.
22. سعيدوني ناصر الدين ، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800 م ، 1830، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1979.
23. سعيدوني ناصر الدين ، دراسات في الملكية و الوقف والجباية، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2001 .

24. سعيدوني ناصر الدين ، ملكية الأراضي بالجزائر أواخر العهد العثماني وتأثيرها على البنية الاجتماعية بالريف في أعمال ملتقى الثالث لتاريخ وصفة المغرب ، ط 1 ، د م م ، جزائر 1983 .
25. سعيدوني ناصر الدين ، نظام المالي في الجزائر أواخر العهد العثماني ، ط 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر .
26. سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، العهد العثماني .
27. سعيدوني ناصر الدين، والمهدي عديي الجزائر في التاريخ العهد العثماني المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر 1984 .
28. سعيدوني نصر الدين ، منطلقات وآثار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1996 .
29. سليمان أحمد ، تاريخ النظم الجزائرية ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، د ط ، 2007 .
30. السيد محمود ، تاريخ إفريقيا القديم والحديث، مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ، 2006،
31. شاوش محمد بن رمضان ، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ،ديوان المطبوعات الجامعية ،ط1، الجزائر، 1995.
32. ابن شنهو عبد الحميد ، حول دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر (د.و.ن)،الجزائر، 1872 .
33. شويثام أرزقي ،المجتمع الجزائري وفعالية في العهد العثماني ،ن ط2 ،دار الكاتب الغربي الجزائر ،ن 2009 .
34. صالح فركوس ، المختصر في تاريخ الجزائر (1814 م - 1962م) دار العلوم للنشر والتوزيع، (د.ت).
35. عابد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830) ،دار هومة ،الجزائر ، 2011،
36. عابد صالح ، الجزائر خلال العهد التركي ، 1514 - 1830 ، ط 2 ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007 .
37. عبد العزيز قشتالي، مناهل الصفا في موالين الشرفاء، ت عبد الكريم الربط، 1971.

38. عبد القادر حلمي، مدينة الجزائر ونشأتها و تطورها قبل 1830م، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، 1972م.
39. عبدلي لخضر ،التاريخ السياسي و الحضاري لدولة بني عبد الواد ، ابن نديم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 1 ، 2011.
40. عزيز سامح آلتر ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة محمود علي عامر ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1989 .
41. عقاب محمد الطيب ،قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 2000.
42. علي عبد القادر حلّيمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830 ،دراسة جغرافية المدن، ط1، د.ن.م. 1972.
43. عمار هلال، أبحاث و دراسات الجزائر المعاصرة، (د ت ن)، الجزائر .
44. عمورة عمار ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ط 1 ، دار ربحانة ، الجزائر ، 2002 .
45. عميراي حميدة ،الجزائر في أدبيات الرحلة و الأسر خلال العهد العثماني ، دار الهدى ، د ط ، الجزائر ، 2003.
46. غطاس عائشة ، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700 - 1830 ، مقارنة إجتماعية إقتصادية ، منشورات anep ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، د ط ، الجزائر ، د ت.
47. فارس محمد خير ، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، ط02، مكتبة الشرق، 1979.
48. فاطمة الزهراء قشي ، الزواج والأسرة في قسنطينة في القرن 18 ، دار القصبة ، د ط ، الجزائر ، 2007.
49. فاطمة الزهراء قشي ،قسنطينة في عهد صالح باي،البايات ،منشورات ميديا بليس ،قسنطينة، 2005.
50. فركوس صالح ، المختصر في تاريخ الجزائر من للعهد الفينيقي الى خروج الفرنسيين ، دار العلوم عنابة ، 2002.
51. فركوس محمد صالح ، الحاج أحمد باي ، قسنطينة ، 1826 - 1850 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1993.

52. فؤاد محمد أرزقي ،أزفون تاريخ وثقافة ، دار الأمل للطباعة والتوزيع ،ط1، د م ن 2003،

53. مبارك بن محمد الميلي ،تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج 3 ،مكتبة النهضة الجزائرية ،الجزائر ،د.ت.

54. مروش المنور ، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني الأسعار و المداخل ،دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2009.

55. مريوش أحمد ، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين ، د ط ، الجزائر ، 2007.

56. مريوش احمد ، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1983 .

57. مريوش أحمد ، الحياة الثقافية في الجزائر في خلال العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،1998.

58. هلال عمار ، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة ، 1830 ، 1962 ، ط 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 .

59. هلاي حنفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،دار الهدى ، ط 1 ، الجزائر ، 2008 .

60. يوسف الزياتي محمد ، دليلي الحيران ، وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تقديم وتعليق المهدي بوعبدلي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979 .

ثانيا :الرسائل والمذكرات :

2- التر سامح ، خليل صالح سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الاوسط ، رسالة ماجستير في التاريخ (غير منشورة) جامعة باتنة 2006 .

3- شارفي أمال ،جهاد يعقوب ،الحياة الاجتماعية و الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني، إشراف صالح حمير، كلية الآداب و اللغات و العلوم الاجتماعية و الانسانية،2009.

ثالثا :المجلات

1-لجامعي الفاسي ، رحلة الجامعي للفاسي " نقلا عن مولاي بلحميسي"، مدينة الجزائر خلال النصوص العربية و الأجنبية، وزارة التعليم العالي و الشؤون الدينية، العدد الثامن، الجزائر ، 1972.

2- يحي بوعزيز ، المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20 م مجلة الثقافة ، العدد 63 ، 1981 .

3- رابح بونار ، ذكرى الألفية لتأسيس مدينة الجزائر الأصالة ، عدد 8 ، 1972 .

4- العيد مسعود ، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني ، مجلة سيرتا ، ع 03 ، 1980 .

رابعاً: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

1- A.bernard .levilution du nomadisme en algerie .lib. E. jourdan .alger 1906.

فهرس المحتويات

الصفحة

كلمة شكر وتقدير

إهداء

أ

مقدمة

الفصل التمهيدي: لمحة عن التواجد العثماني في الجزائر

- | | |
|----|---------------------------------|
| 05 | I- ظروف بروز العثمانيين |
| 06 | II- الأوضاع السياسية |
| 07 | - مراحل الحكم في العهد العثماني |
| 11 | III- الأوضاع الاقتصادية |
| 13 | VI- الأوضاع الثقافية |

الفصل الأول: واقع المجتمع الجزائري

- | | |
|----|--|
| 19 | المبحث الأول : بنية المجتمع الجزائري وتركيبته السكانية . |
| 20 | 1-الأتراك العثمانيون |
| 21 | 2- فئة الكراغلة |
| 23 | 3- فئة الحضر |
| 23 | أ- جماعة الأشراف |
| 24 | 4- الجالية الأندلسية |
| 25 | ب- فئة البراني |
| 25 | أ- جماعة البساكرة |
| 26 | ب- جماعة بني ميزاب |
| 26 | ج- الجماعة الجيجلية |
| 26 | د- جماعة الأغواطيين |
| 26 | هـ- جماعة القبائل |
| 26 | 5- الجالية اليهودية |

27	6- فئة المسيحيين :
28	7- جماعة الزنوج
29	المبحث الثاني : الوضع الديموغرافي
33	المبحث الثالث : الاوضاع الصحية
34	- الأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني
34	1- الطاعون
37	2- مرض الحمى

الفصل الثاني: نشاطات المجتمع الجزائري

40	المبحث الأول : نشاط المجتمع الجزائري في المجال الفلاحي
41	1/- المنطقة الشمالية
41	2/- منطقة الهضاب العليا أو الوسطى
41	3/- المنطقة الجنوبية أو الصحراوية
46	المبحث الثاني: نشاط المجتمع الجزائري في المجال الحرفي.
47	1-توفير المواد الأولية
47	2-الأمن والاستقرار وقلة الكوارث الطبيعية
52	المبحث الثالث : نشاط المجتمع الجزائري في المجال التجاري
53	1- التجارة الداخلية
56	2- التجارة الخارجية
56	أ-التجارة مع دول افريقيا
58	ب- التجارة مع الدول المغاربية
64	ج- التجارة مع أوروبا
67	المبحث الرابع :الواقع الثقافي .
67	1- المساجد
69	2- الزوايا والرباطات
70	3 -الكتابيب والمدارس
72	4- المكتبات

الفصل الثالث: الاحتفالات الشعبية والدينية

77	المبحث الأول: الاحتفالات الشعبية.
77	1 الاحتفال برأس السنة البربرية يناير
78	2 الاحتفالات العائلية (الزواج، مولد الأطفال، الختان)
78	أ - احتفالات الزواج
80	ب - الاحتفال بالمزيود (المولود الجديد)
81	ج . الطهارة (الختان)
82	د - الامسيات و السهرات
84	المبحث الثاني: الاحتفالات الدينية
84	1- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف
86	2- الاحتفال بحلول شهر رمضان
88	3- الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى
88	أ - الاحتفال بعيد الفطر
90	ب - الاحتفال بعيد الأضحى
92	4- الاحتفال بخروج ركب الحج و عودته
95	الخاتمة
	قائمة المراجع
	الملاحق